جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

أدب عربي قديم
رقم : ق4 /2019

إعداد الطالبة :

–اسمهان شاطري

–سليمة بعقيقي

يوم :2019/06/23

المقومات الفنية في شعر الحرب
في شعر خداش بن زهير العامري

لجنة المناقشة:

حياة معاش	أ. د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
ابتسام دهينة	أ. مح.ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
أمال مزهودي	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

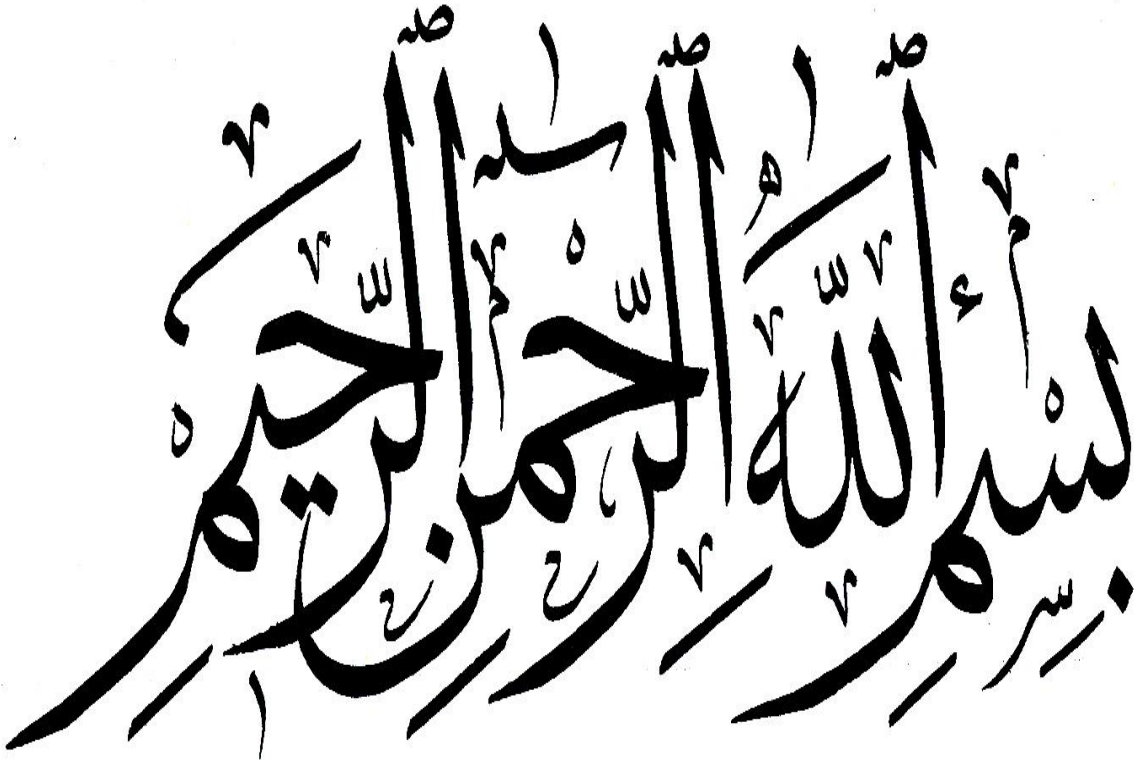
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمـــــــة

لقد نال الشعر الجاهلي اهتماما كبيرا في الأوساط الأدبية القديمة والحديثة، وذلك لما يحمله بداخله من تأريخ وجمالية للحياة الجاهلية حيث صورها تصويرا حيا ودقيقا العادات والتقاليد والأعراف والأخلاق كما عبر أيضا عن الأحوال النفسية للأفراد بشكل عام وللشاعر بشكل خاص، الذي يعتبر لسان قبيلته وحامي أعراضها وذاكر مناقبها ومفاخرها.

وفي هذه المذكرة ألقينا الضوء على أحد المظاهر التي كان لها نفوذ وسيطرة كبيرين على الحياة الجاهلية، وهوالصراع الدائم بين الأفراد والقبائل، ولما كان الشعر مرآة عاكسة لأحوال العصر نجد أن أغلب الشعراء الجاهليين صوروا لنا الحرب بشكل مفصل في أشعارهم، وللغوص أكثر والتعرف على الحياة الحربية في الجاهلية بشكل عام وعلى شعر الحرب بشكل خاص جاء عنوان هذه المذكرة " **المقومات الفنية لشعر الحرب في شعر خداش بن زهير العامري** ".

ومن بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو التعرف على خداش بن زهير الذي لم ينل شعره الحظ الوفير من الدراسة وكذلك من أجل إبراز الصور الجمالية والفنية لشعر الحرب، ولتحقيق ذلك كان لزاما علينا طرح جملة من الإشكاليات:

. من هو خداش بن زهير العامري؟

. كيف يرى خداش الحرب ومكانتها في شعره؟

. وما هي المقومات الفنية التي اعتمد عليها في ذلك؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على الخطة الآتية:

مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، جاء المدخل كضبط للمفاهيم الأساسية تعرفنا من خلاله على خداش بن زهير وعلى دور الحرب في الحياة الجاهلية وكذلك على ماهية المقومات الفنية، أما الفصل الأول فهو إبراز للصور الجمالية التي رسمها شاعرنا للحرب وذلك من خلال أربعة عناصر وهي: (الإنسان، الحيوان، الزمان، المكان)، وجاء الفصل الثاني لإبراز التشكيلات البلاغية التي وظفها الشاعر في الديوان والبناء الفني لقصائده ومقطوعاته الشعرية، لنصل في الأخير إلى الخاتمة التي أجملنا فيها نتائج هذا العمل، يليها قائمة المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات وملخص للبحث.

لقد اقتضت هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الفني كمنهج أساسي لهذه الدراسة والاستعانة بمناهج وآليات أخرى كالمنهج الوصفي والتاريخي والاعتماد على آلية التحليل.

ومن أجل إزالة اللبس والإبهام اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

. ديوان خداش بن زهير العامري "مدونة للبحث"

. شعر الحرب لعلي الجندي

. الأدب الجاهلي قضاياه وفنونه لحسني عبد الجليل يوسف

. العمدة لابن رشيق القيرواني

والبحث عادة لا يخلو من صعوبات لذا واجهتنا بعض منها تمثلت في: صعوبة قراءة وفهم الألفاظ الجاهلية، وكذلك عدم وجود شرح للمدونة.

وفي الأخير لا يسعنا سوى تقديم جزيل الشكر والتقدير والامتنان للأستاذة الفاضلة " ابتسام دهينة "، متمنين لها دوام الصحة والعافية والمزيد من النجاحات والتفوق إن شاء الله.

مدخَل:

ضبط المفاهيم الأساسية

أولا- مفهوم الحرب

ثانيا- مكانة الحرب في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي

ثالثا- التعريف بالشاعر

رابعا- ماهية المقومات الفنية

أولا: مفهوم الحرب:

أ-**لغة:** جاء في "العين" للخليل:

"الحرب نقيض السلم، تُؤنث وتصغيرها حُرَيْبٌ رواية عن العرب، ومثلها ذُرَيْع وفُرَيْس، نُيَيْب يعني الناقة وذُوَيْد وغُدَيْر وخلَيْف.

ورجل مِحْرب: شجاع.

وحرَّبْتُهُ تحريبا أي حرَّشْتُه على انسان فأولِع به وبعدواته، وحَرِبَ فلان حَرَبًا: أُخِذَ ماله فهوحَرِبٌ حَرِيبٌ.

وقد جاء معنى الحرب في قوله تعالى ﴿يُحَارِبُونَ اللّه ورَسُولَهُ﴾ المائدة(33) بمعنى المعصية، وجاءت في قوله أيضا: ﴿فَأْذَنوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾ البقرة(279) بمعنى القتل.

والمِحْرَابُ عند العامة اليوم: مقام الإمام في المسجد".[1]

كما نجد هذا المعنى أيضا عند "الفيروز آبادي" في قوله: "(الحَرْبُ) مؤنثه وقد تُذكر (ج) حروب، ودار الحرب بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم، ورَجُلَ حَرْبٌ ومِحْرَابٌ:

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين (تح) عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ج 1، بيروت، لبنان، 2003، ص299.

شديد الحرب شجاع، ورجل حَرْبٌ، عَدُو محارب، وإن لم يكن محاربًا، للذكر والأنثى والجمع الواحد، وقوم مَحْرَبَةٌ وحاربه مُحَارَبَة وحِرَابًا، وتحاربوا واحتربوا، والحَرْبَةُ: الآلة".[1]

وجاء في "معجم الوسيط": "(الحرب): القتال بين الفئتين، والحرب الباردة: أن يكيد كلُ من الطرفين المتعادين لخصمه دون أن يؤدي ذلك إلى حرب سافرة.

(ج) حروب يقال: قامت الحرب على ساق: اشتد الأمر وصعب الخلاص منه.

(الحرب): الويل والهلاك، يقال: واحرباه: عند إظهار الحزن والتأسف ." [2]

لقد تعددت مفاهيم مصطلح الحرب في المعاجم العربية السابقة وجاءت بمعاني متقاربة مفادها أن الحرب نقيض السلم وتعني الاختلاف والقتال والمعصية.

ب- اصطلاحا: لم يبتعد مفهوم الحرب في الاصطلاح عن المفهوم اللغوي، حيث وردت الحرب بمعنى المنازلة والمقاتلة، أو الإختلاف بين قوتين بقوة السلاح.[3]

كما عرفها "عبد الوهاب الكيالي" في موسوعته: على أنها ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح، أولتوسيع نفوذ، أولحسم خلاف حول مصالح أومطالب متعارضة بين جماعتين.[4]

---

[1] – الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، (تح) محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص73.

[2]– شعبان عبد العاطي عطية، آخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مصر، 2004، ص164.

[3]– بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د.ط، بيروت، د. س، ص157.

[4]– ينظر، عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج 2، بيروت، لبنان، د.س، ص170.

فالحرب كمفهوم لغوي واصطلاحي تصور لنا الصراع والنزال القائم بين الأفراد والشعوب بأساليب متعددة، ذلك رغم تباين نواحيها حيث نجد الناحية السياسية والاقتصادية وحتى الناحية الاجتماعية، ولقد كان للحرب الأثر الكبير في حياة الإنسان العربي عموما والجاهلي على وجه الخصوص الذي كان يراها سنة من سنن حياته التي لا بدَّ منها.

فالغزو أمر طبيعي وقانوني لدى الجاهلين ودوافعه كثيرة، منها الحاجة وحب السيطرة والسيادة، كما تعود أيضا إلى طبيعة العربي المعروف بعصبيته خاصة ما يتعلق بالحفاظ على كرامته وحرمة قبيلته.[1]

ولقد أطلق العرب ألقاب متعددة كالمعركة والواقعة واليوم على الحروب التي كانت تجري بينهم في الجاهلية، ويعود سبب التسمية الأخيرة إلى أنهم كانوا يتحاربون نهارا، فإذا جاءهم الليل وقفوا القتال حتى يخرج الصباح، وكانت تسمى هذه الأيام والحروب غالبا أسماء البقاع والآبار التي نشبت بجانبها، أوتسمى بأسماء ما أحدث اشتعالها كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء[2].

ثانيا: مكانة الحرب في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي:

إن حياة الإنسان العربي في الجاهلية كانت أغلبها حياة حربية، حيث طغى الصراع والنزال بين الأفراد والقبائل بشكل كبير، أصبحت الحرب عندهم شيء طبيعي وعادة من

---

[1]- ينظر، حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (قضايا- وفنون- ونصوص)، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2001، ص121.

[2]- ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط11، القاهرة، مصر، ص64 -65.

عاداتهم التي لابد منها من أجل استمرار حياتهم، ويمكن أن نقول أن البيئة الطبيعية للحياة في ذلك العصر كان لها الأثر البالغ في قيام الحروب، ذلك لما كان بما يعانيه العربي من قسوة للطبيعة– فكما نعلم أن العرب ارتكزوا في شبه الجزيرة العربية وأغلبها صحراء قاحلة ماعدا اليمن والأراضي المنخفضة[1]–، وهي أرض غير صالحة للزراعة بسبب قلة الماء، فكان الصراع في أغلب حالاته يدور حول أماكن تواجد المياه ومراعي الكلأ، فالبيئة الجاهلية هيأت للعرب ظروفا جعلتهم في نزال شبه دائم، وما ساعد على تفاقم الأمر هو عدم وجود سلطة مركزية عامة يخضع لها العرب بل سيطر النظام القبلي.[2]

وهنا كسبب آخر كان له الأثر البارز في قيام الحروب ألا وهو الثأر، "فهو شريعتهم المقدسة، وهي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية، إذ كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثأروا من غرمائهم".[3]

وهناك من الدارسين من أرجع كثرة الحروب في العصر الجاهلي إلى طبيعة الإنسان الجاهلي لما كان يتميز به من عصبية، فهذا "أحمد أمين" يقول:" أن العربي عصبي المزاج، سريع الغضب يهيج للشيء التافه، ثم لا يقف في هياجه عند حدْ، وهو أشد هياجا إذا جُرحت

---

[1]– ينظر، علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1963، ص37.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص20.

[3]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، مرجع سابق، ص62.

كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه، حتى أفنتهم الحروب، وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة".[1]

ولقد كان للعرب جملة من العادات التي يقومون بها قبل قيام الحروب أو أثناءها أو بعدها ونذكر منها:

- إضرام النار، ذلك لإعلان الاجتماع بين الأفراد أوالقبائل.

- التجرد من الثياب، وذلك كان من أجل التحذير من الخطر، وأطلق اسم (النذير العريان) على الشخص الذي يقوم بعملية التجرد .

- استخدام التراب أو الرمل للدلالة على كثرة العدو، والشوك يرمز لقوة العدو، وعدد الأحجار للدلالة على عدد الأيام المحتملة لوصول العدو.

- التشاؤم والتيامن، فكانوا يحبذون غزو أعدائهم من جهة اليمين والتشاؤم من جهة اليسار.

- اصطحاب الآلهة تيمننا بها.

- كما نجد أيضا عادة تقييد سادات القوم لأنفسهم من أجل حث المقاتلين على الدفاع عن سادتهم.

---

[1]– فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت، لبنان، 1969، ص37.

- اصطحاب النساء والأولاد من أجل تثبيت وجود المقاتلين على أرض المعركة والدفاع عن نسائهم وأولادهم[1].

ومن عاداتهم في الأخذ بالثأر هو الابتعاد عن كل شيء يحبونه كالخمر والطيب، حتى يتم الثأر من الغريم، ومنه ما قام به المهلهل حين قُتل أخاه كليب حيث "جمع أطراف قومه، ثم جزَّ شعره، وقصَّر ثوبه، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهو ولا يشم طيبا، ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بني بكر بن وائل".[2]

- ولقد أحصى صاحب العقد الفريد في كتابه أشهر الفرسان العرب في الجاهلية حيث بدأ "ببربيعة بن مُكَتّمْ، عنترة الفوارس، كتيبة بن الحارث بن شهاب، أبوبراء عامر بن مالك مُلاعب الأسنة، وزيد الخيل، وبسطام بن قيس، والأُحَيْمَر السعدي، وعامر بن الطفيل، وعمروبن عبد ودّ، وعمروبن معد يكرب".[3]

وكما ذكرنا سابقا فقد أطلق العرب اسم الأيام على حروبهم ووقائعهم، ومن أشهر أيام العرب نذكر:

---

[1]– ينظر، سعد عبود السمار، عادات الحرب عند العرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية، جامعة واسط العدد الثالث عشر، العراق، 1 نيسان 2013، ص 180–188.

[2]– محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، ط1، مصر، 1942، ص153.

[3]– ابن عبد ربه، العقد الفريد، (تح) مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، لبنان، 1983، ص5.

- يوم كُلاب* الأول: وكانت وقائع هذا اليوم بين الأخوين شُرْحبيل وسلمة ابنا الحارث بن عمرو المقصور.

- حرب البسوس**: وكانت بين بكر وتغلب بسبب اعتداء كُليب سيد تغلب على ناقة البسوس خالة جساس بن مرة سيد بكر، لمَّا بلغه الخبر ثار لكرامته وقتل كليب واشتعلت نار الحرب ودامت أربعين سنة.

- حرب داحس والغبراء***: من أشهر أيام الجاهلية كانت بين عبس وذبيان وسببها كان سباق رهان بين فرسين.

- حروب الفجار: كانت بين كنانة وقيس وسميت بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها، وهي فجاران الفجار الأول ثلاثة أيام والفجار الثاني خمسة أيام. [1]

كما نجد أيام أخرى كيوم الهرّوت الذي كان بين تميم وعامر بن صعصعة بن كعب، كذلك يوم ذي علق، اليوم الذي التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذي علق واقتتلوا قتالا عظيما.[2]

---

* كلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، مرجع سابق، ص 46 .

** خالة جساس بن مرة، مرجع نفسه، ص 142 .

*** اسما فرسين لقيس بن زهير، مرجع نفسه، 246.

[1]- ينظر المرجع نفسه، ص322.

[2]- ينظر، ابراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 99-100-105.

لقد كانت هذه الأيام من أشهر الحروب في الجاهلية، وحينما شكلت الحرب حيزا مهما في حياة الجاهليين منحت للشعراء ميدان فسيح لنظم الشعر في هذا الصدد من تنوع الأغراض الشعرية حيث نجد هذه الأيام في الفخر، المدح، الوصف، الرثاء، الهجاء...، ومن أبرز الشعراء الذين نهضوا في الحرب نذكر:

"امرئ القيس" الذي صور لنا الحرب في هذه الأبيات بصورة قبيحة يقول:

الحربُ أوّل ما تكون فَتِيةً تسعى بزينتِهَا لكل جَهولِ

حتى إذا اسْتعرَّتْ وشبَّ ضِرامهَا عادت عجوزاً غيرِ ذاتِ خليلِ

شمْطَاء جَزَّتْ رأسها وتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهةً للشَّم والتَّقبيلِ[1]

يقول زهير بن أبي سلمى:

ومَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وما هُوعَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضريتموها فتضرم

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بثِفَالِهَا وتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْرٍ ودِرْهَمِ[2]

فالشاعر هنا يصور لنا أهوال الحرب ونتائجها الوخيمة.

---

[1]– امرئ القيس، الديوان، (تح) محمد أحمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، د.س، ص 353.

[2]– زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص 106-107.

وقول عمر بن كلثوم وهو يفخر بصنيعه هو وقومه في الحرب:

مَتَى نَنْقُلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُوْنُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا

يَكُوْنُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَا

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُوْنَا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُوْنَا[1]

كما نجد قول قيس بن الخطيم في نبذ الحرب والقول بالسلم:

وكُنْتُ امْرءاً لا أبْعثُ الحَرْبَ ظالماً فلمّا أبَوْا أشْعَلْتُها كُلَّ جانبِ

أَرِيت بدفع الحَربِ حتى رأيتها عن الدَّفْع لا تزداد غير تقاربِ[2]

كانت هذه بعض من الشواهد الشعرية التي نظمها ثلة من الشعراء الجاهليين بين مؤيد ورافض لها.

ثالثا: التعريف بالشاعر:

أ- حياته:

هو شاعر من الشعراء الجاهليين الفرسان، ينتهي نسبه إلى عامر بن صعصعة، وهو ولبيد من جيل واحد، فبين كل منهما وبين ربيعة بن عامر أربعة آباء، فخداش بن زهير بن

---

[1]- عمر بن كلثوم، الديوان، حققه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1991، ص71 – 72.

[2]- قيس بن الخطيم الديوان، (تح) ناصر الدين الأسد، دار صادر، د.ط، بيروت، د.س، ص81.

ربيعة بن عمرو فارس الضحياء بن عامر بن صعصعة، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. [1]

ولقد وهم "البغدادي" حين جعله من الصحابة ومن المشاركين في غزوة حنين، حيث خلط بينه وبين "خداش بن سلامة أو أبو سلامة" الصحابي، فذكر خداش بن زهير يلمع في الجاهلية وليس هناك ما يثبت إسلامه. [2]

"خداش شاعر مشهور من شعراء قيس المجيدين"[3]، وحظه من العلم في حياته كحظ أكثر شعراء الجاهلية لا نعرف عنهم غير شعرهم، وليس لدينا شيء عن أسرة خداش وكل الذي نعرفه أن أباه قُتل على إثر يوم الفجار.

"وإن كانت صورة خداش في المصادر مجهولة يكتنفها الغموض، فإن أيام الفجار قد أظهرته بطلا فارسا يخوض الغمرات ويتفنن بانتصاراته وأمجاد قومه، ومن الواضح أنه لو لم تكن أيام الفجار لما عرفنا خداشا"[4].

كما كان لحادثة الثأر دلالتها في إلقاء الضوء على شخصية خداش وتميزها وقوتها، وتصور رجاجة عقله وحسن حيلته، حيث قام بمساعدة الشاعر "قيس بن الخطيم" في الأخذ بثأر أبيه، وفي هذا الشأن مدحه قيس في هذه الأبيات:

---

[1]– ينظر، خداش بن زهير العامري، الديوان، صنعه يحي الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د.ط، دمشق، 1986، ص5.

[2]– ينظر، الديوان، ص6.

[3]– عفيف عبد الرحمن، معجم الشعراء، دار المناضل للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص82.

[4]– خداش بن زهير، الديوان، ص 7.

تَذَكَّرَ لَيلى حُسنَها وَصَفاءَها وَبانَت فَأَمسى ما يَنالُ لِقاءَها

وَمِثلِكِ قَد أَصبَيتُ لَيسَت بِكَنَّةٍ وَلا جارَةٍ أَفضَت إِلَيَّ حَياءَها

إِذا ما اِصطَحَبتُ أَربَعاً خَطَّ مِئزَري وَأَتبَعتُ دَلوي في السَخاءِ رِشاءَها

ثَأَرتُ عَدِيّاً وَالخَطيمَ فَلَم أُضِع وِلايَةَ أَشياءٍ جُعِلتُ إِزاءَها

ضَرَبتُ بِذي الزِرَّينِ رِبقَةَ مالِكٍ فَأُبتُ بِنَفسٍ قَد أَصَبتُ شِفاءَها

وَسامَحَني فيها اِبنُ عَمروبنِ عامِرٍ خِداشٌ فَأَدّى نِعمَةً وَأَفاءَها

طَعَنتُ اِبنَ عَبدِ القَيسِ طَعنَةَ ثائِرٍ لَها نَفَذٌ لَولا الشُعاعُ أَضاءَها[1]

ب- شعره :

كما ذكرنا سابقا فخداش بن زهير العامري عُدّ من الشعراء الفرسان، إذ تميز بالقوة والشجاعة ورجاحة العقل، ولقد كان لهذه الصفات الأثر في شعره، فلقد عده "الأصمعي" من فحول شعراء فحين سأله أبوحاتم عنه قال:"...وسألته عن خداش بن زهير العامري قال هو فحل".[2]

كما جعله ابن سلام الجمحي في طبقاته على رأس شعراء الطبقة الخامسة، وهم أربعة شعراء:

- خداش بن زهير العامري

---

[1]- قيس بن الخطيم، الديوان، ص 41.

[2]- الأصمعي، فحولة الشعراء، (تح) ش توري، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص15 .

- الأسود بن يعفر
- المخبَّل بن ربيعة
- تميم بن أُبَيّبن مقبل

.كما نجد أن أبوعمر بن العلاء قدمه على لبيد فيقول: "هو أشعر في قريحة لشعر من لبيد وابن الناس الاّ تقدمه لبيد..."[1] كما يضيف في موضوع آخر ويقول: "خداش بن زهير أشعر في عظم الشعر، يعني نفس الشعر من لبيد، وإنما كان لبيد صاحب صفات".[2]

وعلى الرغم من أن خداش عُرف واشتهر بشعر الحرب، إلا أن هذا لا يمنع نظمه في أغراض شتى فنجد لديه أبيات في الوصف، الهجاء، الفخر، المدح...، ففي الوصف يقول:

لها ذنبٌ مثل ذيل الهدي إلى جؤجؤٍ أيد الزافر[3]

فالشاعر في هذا البيت يصف ذيل ناقته ويشبهه بذيل العروس.

كما نجده في أبيات أخرى يصور حال المرأة حينما تحيط بها الغارة ولا تفكر إلا في النجاة والهرب يقول:

ومُرْقصةٍ ترى زَفَيَان خَيْلٍ وألْهى بَعْلَهَا عنها الشُّغُولُ

تُؤنسُ ركضَ مُشْغَلَةٍ رِعَالٍ وقد جعلتْ رِجَازَتُها تَميلُ[4]

---

[1]– ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، لبنان، 2001، ص61.

[2]– المصدر نفسه، ص61.

[3]– خداش بن زهير العامريي، الديوان، ص83.

[4]– الديوان، ص87.

كما يبدع في موضع آخر في وجعه للضّبية يقول:

مُوَشَّحَةٌ جَيداءُ يَقصُرُ سَربَها عِضاةٌ مُشيرٌ بِالرَبيعِ وَمُفتِلُ[1]

وطالما كان الهجاء من أشهر وأخطر الأغراض في الشعر الجاهلي، حيث استخدمه الشعراء كسلاح في وجه الأعداء وللدفاع عن قبائلهم "فقد كان الشاعر في قبيلته صحيفتها السائرة ولسانها الذي ينشد مفاخرها، ويهجو أعداءها، ويرثي موتاها، ويشيد بمكانتها بين القبائل الأخرى".[2]

نجد الشاعر يهجو بني تيم الأدرم، يقول:

الشَاتمي ومن دوني ذرا حضن والفعل مُخْتلب والقول مأثورُ

أنتم مجَاهيلُ حرَّامونَ ثاويكم وفي الحروب مقَاليعُ عوَاويرُ

لا تبْرحونَ على أبواب مَلأمَةٍ تعَازُرونَ بها مَالأ لأ الفورُ[3]

كما يهجوه في موضوع آخر إذ يقول:

أبْلِغ أبَا كَنَفٍ إمَّا عرضْتَ به والأَبْجَرَيْنِ وَوَهْبًا وابنَ منْظُورِ

ألاَ طِعانَ ولا فُرسَانَ عَادِيةً إلَّا تَجَشّؤكُمْ عند التَّنَانِيرِ

ثمَّ احْضَرُونَا إذا مَا احْمَرَّ أعْيُننا في كل يَوْمٍ يُزيل الهَامَ مَذْكُورِ

---

[1]–خداش بن زهير، الديوان ، ص89.

[2]– حسني عبد الجليل يوسف، مرجع سابق، ص 99.

[3]– خداش بن زهير، الديوان، ص 70.

تلْقوْا فوارسَ لا مَيْلًا وَلاَ عُزْلاً ولا هَلَابِيجَ رَوَّاثينَ في الدُّورِ[1]

ونجد أبيات أخرى يهجو فيها "عبد الله بن جدعان" لأنه كان من سادة قريش، يقول:

وَأُنْبِئتُ ذَا الضَّرْعِ ابن جَدْعَان سَبَّنِي وإني بذي الضَّرْعِ ابن جَدْعَان عالمُ

أغرَّك أن كانت لبَطْنِـــــــك عُكْنةٌ وأنكَ مكْـــفي بمكَّـــــــة طَاعمُ

وترضَى بأنَّ يُهْدَى لك العَقْلُ مُصلحًا وَتَحْـنُق أنْ تُجْنَى عليك العَظَـــائمُ

أبَى لكم أن النفّوسَ أذلـــةً وأن القِرى عن واجبِ الضّيفِ عاتمُ[2]

كما ذكرنا سابقا فقد كان الشعراء الجاهليين لسان قبائلهم يدافعون عنهم ويفخرون بصنائعهم، وفي هذا الصدد يقول شاعرنا:

ألَمْ يَبْلُغْكُم أنَّا جَدَعْنَا لدَى العَبْلاءِ خِندف بالقِيادِ

ضربناهم ببطنِ عُكاظَ حتَّى تولُّوا طالعينَ مِن النِّجادِ[3]

وقال في موضع آخر:

ألم يبلغك ما لَاقتْ قريشٌ وحَيٌّ بنِي كِنانةَ إذ أُثِيرُوا

دهمناهم بأرْعَنَ مُكْفَهِر فظَلّ لنَا بعَقْوَتِهِمْ زئيرُ

نُقوِّمُ مَارِنَ الخَطِيِّ فِيهِمْ يَجِيءُ على أسِنَّتِنَا الجَزِيرُ[4]

---

[1]–خداش بن زهير، الديوان ، ص75.

[2]–الديوان، 96–95.

[3]–الديوان، ص64.

[4]– الديوان، ص65.

فالشاعر في هذه الأبيات يفخر بشجاعة وقوة فرسان قومه، وما ألحقوه بأعدائهم.

قال في موضوع آخر يفخر بوالده:

أبي فَارِس الضَّحْيَاءِ يَوْمَ هُبَالَةٍ إذَا الخَيْلُ في القَتْلى مِنَ القَوْمِ تعْثُرُ[1]

أما في غرض المدح يقول خداش:

الناسُ تَحْتك أقْدَامٌ وأنْت لهم رَأس فكيف يُسَوَّى الرَّأسُ والقدمُ

إنَّا لنعلم أنَّا ما بَقِيت لنا فينَا السَّماحُ وفينا الجُودُ والكَرمُ

وحَسْبُنا من ثناء المَادِحِينَ إذَا أثْنَوا عليك بأنْ يَثْنُوا بما عَلِمُوا[2]

وهكذا نجد أن خداش لم يلتزم بلون واحد في شعره، بل نظم في أغراض شتى، رغم شهرته بشعر الحرب .

---

[1]–خداش بن زهير، الديوان ص68.

[2]– الديوان، ص97.

رابعا: ماهية المقومات الفنية:

إذا كان العمل الأدبي هو تعبير عن تجربة شعورية، برسم صورة لفظية موحية للانفعال الوجداني، في نفوس الآخرين فإنه لابد من أن يكون لكل عمل فني مقومات يتكئ عليها لتعطي الإبداع الشعري قيمته حيث تعد عناصر جوهرية يتوقف عليها نجاح المبدع في نقل تجربته، فتخرج بتلك الصورة المستوية في تركيبها والكاملة في تأثيرها.

وتعد "الصورة الشعرية من أبرز تلك الأدوات التي يستخدمها الشعراء في بناء قصائدهم، وتجسيد أحاسيسه، ومشاعرهم والتعبير عن أفكارهم، وتصوراتهم للإنسان والكون والحياة"[1] فلا يمكن للشاعر الاستغناء عنها فهي "الجوهر الدائم والثابت في الشعر".[2]

ولقد بدأ مصطلح الصورة الشعرية بالظهور في أواخر القرن التاسع عشر وانتشر بمسميات عديدة، كالصورة الفنية أوالتصدير في الشعر أوالصورة الأدبية، كما أن النقاد اختلفوا في تعريفهم للصورة الشعرية، فلا نجد " هناك تعريف محدد، فتعدد المصطلحات سببه التأثر بالنقد الغربي والاجتهاد في الترجمات ".[3]

---

[1] –رائد وليد جرادات، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث نازك الملائكة أنموذجا، جامعة الطفيلة التقنية، كلية الآداب، الأردن، مجلة جامعة دمشق، المجلد 9، العدد 1 ،2، 2013، ص551.

[2] –جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 1992م، ص7.

[3] –ينظر: سعيد حسون العنكبي، جماليات تلقي الصورة الشعرية في القصيدة الجاهلية، دراسة تطبيقية في المعنى الشعري، جامعة بغداد، كلية اللغات، مجلة الأستاذ العدد 206، المجلد 1، 218، ص77.

إلا أن الدارس للنقد القديم يجد أن الصورة الشعرية تناولها النقاد في التراث النقدي العربي، باعتبارها باعثة للجمال النصي، حيث تنقل النص من وظيفته التواصلية إلى بعده الجمالي، فهي توحي بمدى إبداع الشاعر وذكائه.

فالجاحظ أشار إلى الصورة الشعرية وتنبه لوظيفتها وعبر عنها " المعاني مطروحة في الطريق...أن الشعر صناعة، وضرب من النسيج وجنس من التصوير ". [1]

أما "عبد القاهر الجرجاني" يرى أنها " نتاج ملكة الخيال وديناميكية الخيال لا تعني محاكاة العالم الخارجي وإنما يعني الابتكار والإبداع وإبراز علاقات جديدة بين عناصر متضادة أو متنافرة أو متباعدة وعلى هذا، الأساس لا يمكن حصر الصورة الفنية في الأنماط البصرية فقط بل إنها تتجاوز هذا إلى إثارة الصورة لها صلة بكل الإحساسات". [2]

كما يرى أن الصورة الفنية هي إعادة خلق للعالم الخارجي وفق خيال الشاعر من أجل إحداث أثر نفسي في المتلقي، وتعد نظريته هذه أصل النظريات الغربية الحديثة.

أما بالنسبة للنقاد المحدثين فيرى "جابر عصفور" أن: " الصورة الشعرية وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها، فيما تحدثه من معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير فإن الصورة الشعرية لنا تغير من طبيعة المعنى في ذاته، أنها لا تغير إلا عن طريق عرضه وكيفية تقديمه ".[3]

---

[1] الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام هرون، دار الكتب، بيروت، 1969، ص131.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في المعاني، تقديم وشرح ياسين، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص466.

[3] جابر عصفور، مرجع سابق، ص392.

إن الصورة عند "جابر عصفور" هي تقديم لنفس المعنى بطريقة مغايرة وبأسلوب خاص لتحدث الأثر المنشود.

ولعل أشمل تعريف قدمه "عبد القادر القط" بقوله: " الصورة الشعر الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة، وإمكاناتها في الدلالة والتركيب، والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، (...) والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي تصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صورة الشعرية ". [1]

ومما سبق نستنتج أن الصورة الشعرية هي الأداة التي يعبر بها الشاعر عن خلجاته ومكنوناته وتجاربه، في إطار إقامة علاقات جديدة بين الألفاظ تعبر عن دلالات جديدة باعتبار العاطفة من أجل تحريك انفعال الملتقي وهنا يكون الشاعر قد أظهر إبداعه وتفرده.

وفي هذه الدراسة سنركز على كل من التشبيه والاستعارة والكناية والبناء الفني للقصيدة كمقومات فنية ساهمت في تمرير تجربة الشاعر.

[1] عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني للشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، ط2، 1981، ص 391.

الفصل الأول: صور الحرب

في شعر خداش بن زهير العامري

أولا– صورة الإنسان والحرب

ثانيا– صورة الحيوان والحرب

ثالثاً– صورة المكان والحرب

رابعاً– صورة الزمان والحرب

لطالما شكل الشعر مجالا رحبا للشعراء للتعبير عن آرائهم ومكنوناتهم ومختلف تجاربهم، فتعالت أصواتهم وجاءت قصائدهم بمضامين وأغراض متنوعة الألوان، وذلك تبعا للظروف المحيطة بهم – خاصة الشعراء الجاهليين– وهذا يعود لتأثرهم الكبير بالطبيعة ومختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عايشوها، حيث جاء تصويرهم لمختلف الحوادث والأشياء تصويرا دقيقا حيا معبرا عن نفسية وأحوال الشاعر، فهذا إحسان عباس يقول:"لقد كانت نظرتنا إلى الصورة من زاويتين فقط:الأولى:أن الصورة تعبر عن نفسية الشاعر وأنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام (...)، ذلك لأن الصورة وهي جميع الأشكال المجازية،(...)، والاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشاعر". [1]

ولعل الصور الشعرية التي تزخر بها المعلقات أكبر دليل على ذلك، فنجد على رأسهم امرؤ القيس الذي أبدع في تصوير المرأة وكذلك وصف فرسه في معلقته، ونجد أيضا لبيد في وصفه للبقرة الوحشية وطرفة بن العبد في تصويره الدقيق لناقته، ومختلف المظاهر التي أبدعوا في تصويرها، ونجدها تتكرر كلما تطرقنا لدراسة القصائد الجاهلية، وهذا ما أشار إليه صاحب الشعر والشعراء في قوله " أن مُقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا (...)، ثم وصل بذلك إلى النسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط

[1]– فن الشعر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، د.س، ص 238 .

الصبابة والشوق (...)، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر (...) وإنضاء الراحلة والبعير (...)، وبدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح "[1].

نلاحظ أن ابن قتيبة في هذا القول أدرج مختلف الأساليب المعتمدة في نظم القصائد الجاهلية "فالقارئ للشعر الجاهلي في نماذجه المختلفة يلاحظ غلبة الأسلوب التصويري على موضوعات بعينها تتردد في قصائده على اختلاف أغراضه (...) من الموضوعات النمطية التي لا تخلومنها في الشعر القديم"[2].

وهذا ما سنحاول الحديث عنه في هذا الجزء من البحث: وذلك بإبراز صورة الحرب في شعر خداش من خلال العناصر النمطية وغير النمطية للقصيدة الجاهلية، وفقا للعناصر الآتية:

1- صورة الإنسان والحرب

2- صورة الحيوان والحرب

3- صورة الزمان والحرب

4- صورة المكان والحرب

---

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، (تح) أحمد محمد شاكر، ج1، ط 1، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.س، ص74-75.

[2]- سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط 2، القاهرة، مصر، 1982، ص93-94.

أولاً- صورة الإنسان والحرب:

يعد الإنسان قوام المجتمع وأساسه وهذا ما جعله يظهر بشكل بارز في مجال دراسة الصورة في الشعر الجاهلي، حيث نجد أن الشعراء قاموا برسم صورا كثيرة خاصة بالإنسان ومعتقداته وآرائه ومختلف علاقاته الاجتماعية، التي جعلتنا نتعرف على العربي في الجاهلية، ولما كانت الحرب مظهرا من مظاهر الحياة في ذلك العصر فقد عمل الشعراء على رسم لوحات فنية للأفراد وأيامهم، ونجد خداش الذي أبدع في تصوير الأنا (ذات الشاعر وفرسان قبيلته) والآخر (العدو)، وكما تطرق أيضا إلى صورة المرأة في أيام الفجار ونذكر بداية:

1- صورة المقاتلين:

لقد نشأ العربي وترعرع وسط حياة حربية غرست بداخله جملة من القيم كالكرم والمروءة والشجاعة... التي أصبحت بمرور الزمن أمورا فطرية ساعدت في تكوين المقاتلين والفرسان، وفي هذا العنصر سنحاول إبراز صورة الشاعر كفارس وصورة فرسان قبيلته في حرب الفجار، "فالمقاتل الشجاع يؤمن بأن الإقدام في الحرب لا ينقص عمر المتقدمين وأن الإحجام عنها لا يزيد عمر المتأخرين (...)، وأن الميتة الحقة هي التي تكون في خضم المعركة"[1]، والشاعر في معرض حديثة عن الرحلة والفخر بقومه يصف تجهز المقاتلين للحرب فيقول:

نلبسُ يوم الرَّوعِ زغْفا* مُفاضُةٌ مُضاعفةً بيضًا لها حبَبٌ يجري

---

[1] - نور القيسي حمودي، شعر الحرب حتى القرن الأول للهجري، مكتبة النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ص53.

* - الزغف: الدرع المحكمة

نَفْرِي سَرَابِيلَ الكُماةِ عليهم إذا ما الْتَقينا بالمُهنَّدَة البَتْرِ [1]

فالشاعر هنا يصف تجهزهم للحرب وكيف يلبسون الدروع لحماية أنفسهم من هجمات العدو، معتمدا عليها لتجسيد قوتهم وشدة بأسهم وذلك من خلال ذكره للسيف"المهندة"، ولقد سعى في هذين البيتين لتصوير شجاعة المقاتلين وتمسكهم بالحياة ومواجهتهم للموت عن طريق حماية أنفسهم.

وفي إطار المعنى السابق يقول:

وإنَّا لمن قـــومٍ كـــرامٍ أعِزَةٍ إذا لحقت خَيْلٌ بفرسَانهَا تَجري

ونحن إذا ما الخيلُ أدرك ركْضُهَا لَبسنَا لها جِلدَ الأساودِ والنُّمر ** [2]

إن الشاعر في هذين البيتين يفتخر بعزة وقوة قومه ويجسد حالتهم عندما يحين وقت المعركة، وذلك من خلال إشارته للخيل والسلاح الذي يحملونه ويحتمون به من هجمات العدو، فهو يعبر عن شجاعته وشجاعة بقية المحاربين من قبيلته، وذلك من خلال استخدامه لضمير المتكلم "نحن".

---

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص47

**– جلد الأساود والنمر: الدروع، الديوان، ص80.

[2] – الديوان، ص80.

ونبقى دائما مع صورة الشاعر وفرسان قبيلته في حيز الإشادة، بصنائعهم في المعركة فيقول في يوم الحريرة*:

إنِّي من النَّفرِ الْمحْمَرِّ أعينهم أهلُ السُّوَامِ وأهل الصّخرِ واللُّوبِ

الطَّاعنين نُحور الخيل مُقبلةً بكل سمراءَ لم تُعلبْ ومعلوبِ[1]

وتتجلى صورة الشاعر في هذين البيتين من خلال فخره بكرم وغنى وقوة قبيلته وتحديه للحرب، ويستدل على ذلك بحديثه عن الطعنات التي يوجهها الفرسان للخيول لإحباط عزيمة العدو وإضعافه وذلك لعلمه للدور التي تلعبه الخيل في تحقيق النص.

كما عمل على وصف وقائع هذه المعركة بدقة وأشار إلى صنيع عثمان في هذا اليوم، وختم هذه الأبيات بتهديدهم بالاستسلام والرجوع عن النزال، وكانت النتيجة لصالح قيس على كنانة، يقول:

وإنَّ عثمان قد أردى أبَا كَنَفٍ وابنَي إيَّاسِ وعَمْرا وابن أَيُوبِ**

لاقتهم منهم آسادُ ملحمةٍ ليسوا بزَرَّاعةٍ عوجُ العراقيبِ

فالآن إن تقبلوا نأخذ نحوركم وإنْ تُباهوا فإني غير مغلوبِ[2]

---

* يوم كان لقيس على كنانة وقريش، والحريرة موقع بين الأبواء ومكة، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، مرجع سابق، ص337.

[1]–خداش بن زهير، الديوان،59.

** – عثمان: هوعثمان بن أسيد بن مالك من بني عمروبن عامر رهط خداش بن زهير، الديوان، ص 60.

[2] الديوان، ص 60.

وتظهر صورة المقاتل في هذه الأبيات من خلال حديث قول الشاعر "آساد ملحمة" وفي ذلك دلالة على القوة والجرأة التي يتحلى بها الفارس المقدام الذي يقلب موازين الحرب ويجعلها لصالحه.

وعلى الرغم من تراجع قيس والقبائل المساندة لها وغلبة قريش في بداية يوم شمظة*، إلا أن هذا لم يمنع الشاعر من الإعتزاز بقومه، وتشبيه قوة جيش قبيلته بالنار فقال:

فجاؤوا عَارِضًا بَرِدا وجئنا كما أَضْرِمت في الغابِ الوقُودا[1]

لقد استخدم النار هنا للتعبير عن سرعة بطش المقاتلين وتضحيتهم بأرواحهم من أجل قبيلتهم.

لينتقل بعدها للفخر بشجاعته وقوته: فيشبه نفسه بالأسد والحرب بالنار فيقول:

أنا الحامي الذَّمَار وليثُ غابٍ أشُبُّ الحرب أُشعلها وقودَا[2]

وتظهر صورة الذات في هذا البيت بشكل جلي فكأنما يريد تصوير حالته الشعورية وقوته الجسدية في الحرب، كما نجده في موضع آخر يصف لنا حالة المقاتلين في ساحة المعركة وصفا دقيقا لإبراز قوتهم فيقول:

يحْدونَ أقرانهم في كل مُعْتركٍ طعْنًا وضربا كشَقِّ المناشِيرِ[3]

---

* يوم كان لقيس على كنانة وقريش، وشمظة موقع قريب من عكاظ، محمد احمد جاد المولى وآخرون، مرجع سابق، ص331.

[1] – خداش بن الزهير، ص44.

[2] – الديوان، ص45.

[3] – الديوان، ص 76.

وتظهر لنا صورة المقاتلين في هذا البيت من خلال تجسيده لشجاعة وبسالتهم في ميدان المعركة.

نلاحظ أن الشاعر في تصويره لذاته ولفرسان قبيلته في الأبيات الشعرية السابقة أثناء الحرب، يجعل من غرض الفخر مرافقا له في رحلته الشعرية، ذلك من أجل التباهي بصنيعه وصنيع جيش قبيلته وإبراز عظمته ومكانتهم بين بقية القبائل، فهوفي وصفه الدقيق يلجئ إلى ذكر أسماء الأشخاص والأماكن ليضع المتلقي في خضم الأحداث.

2- صورة العدو:

لقد جاءت هذه الصورة عند أغلب الشعراء في معرض حديثهم عن الأيام وكان هناك نوعين من الصور أما: النوع الأول فجاء من أجل إنصاف العدو والإقرار بقوته ومدح صنيعه، وأما الثاني جاء للتفاخر بالنصر وهجاء واستهزاء بالخصم، وفي ديوان خداش نجد كليهما ففي حديثه عن الإنصاف يقول:

فأبلغ إن عَرَضْتَ بنا هاشما وعبد الله أَبْلغ والولِيدَا

أولئك إن يكن في القوم خيرٌ فإنّ لديهم حسبًا وجودَا

هم خير المعاشرِ من قُريشٍ وأوْرَاها -إذا قُدِحت- زُنُودا[1]

[1]- خداش بن زهير، الديوان، ص43.

فالشاعر في هذه الأبيات يصف لنا قريشا بمختلف الصفات القيمة وينسب إليهم الكرم والجود والخير ويخص حديثه أشراف القوم عبد الله والوليد، لينتقل بعدها للحديث عنهم في ساحة القتال يقول:

وبِتنا نعقِدُ السِّيمَى وباتوا وقالوا صبَّحوُا الأنسَ الحريدَا*

فجاؤوا عَارِضا بَرِدا وجئنا كما أضْرمت في الغاب الوقودا**[1]**

فهوفي هذين البيتين يصف حالة كلا الفريقين قبل بداية الصراع ويشبه الخصم بالسحاب في قوله "**فجاؤوا عارضا**"، ليشير إلى كثرة عددهم ويشبه قبيلته بالنار لابراز بطش الفرسان، ومن هذا التشبيه نصل إلى الغلبة كانت لجيش العدو وبذلك يكون الشاعر أنصف عدوه، فالصورة التي صورها لنا الشاعر هي الصراع القائم بين الأنا والآخر، ولقد أطلق اسم القصيدة المنصفة، "وشعر المنصفات لون من ألوان الشعر العربي يسير في اتجاه معاكس لاتجاه الشعراء في فخرهم بذواتهم وذويهم، ويقف من الخصم موقفا مغايرا لما عرف عن معظم شعراء العصر الجاهلي ".[2]

ولخداش أبيات أخرى في نفس الموضوع لكنها سلكت سبيلا آخر غير الإنصاف وهو الاعتراف بالهزيمة وتقدير شجاعة كنانة في يوم عكاظ***، يقول:

---

*–الحريد : القوم المنعزلون، خداش بن زهير، الديوان، ص44 .

**– العارض : السحاب، الديوان، ص 44 .

(1)– الديوان، ص 44 .

(2)–أحمد فرحات، مقاربات شعرية ومحاورة النصوص صورة العدوفي الجاهلية والإسلام، كلية الفرابي، جدة، ص1.

*** –يوم كان لكنانة وقريش على هوزان، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، مرجع سابق، ص334.

أتتنا قريشٌ حافِلِينَ بجمعهم عليهم من الرَّحمانِ واقٍ وناصرُ

جثت دونهم بَكرٌ فلم نستطعهم كأنهم بالمشـــــرِفِيَّةُ* سامرُ[1]

فهو في هذا الموضع يقر أن قيس لم تستطع مجابهة كنانة وقريش ويضيف:

وما زال ذلك الدَّأبُ حتى تخاذلت هَوزانُ وارْفضَّت سُليمٌ وعامرُ

وكانت قريش يفلِقُ الصخر حدُّها إذا أوهنَ الناس الجدود العواثرُ[2]

خداش هنا يعلن نتيجة هذا اليوم وإنهزام هوزان وقيس، كما يجسد لنا قوة قريش في قوله "يفلق الصخر حدها" ونلمس في هذه الأبيات تجسيد الشاعر لقوة وشجاعة الآخر (العدو) وتبيان ضعف وتخاذل الأنا (الشاعر وفرسان قبيلته).

أما عن الأبيات التي جاءت في هجاء الأعداء يقول:

أنتم مجاهيلُ حرَّامون ثاويكم وفي الحروب مقاليعُ عواويرُ[3]

يصفهم بالبخل وعدم إكرام الضيف والخوف في الحروب، لينتقل بعدها ليصفهم بالفقر فيقول:

كأنهم نبطيَّاتٌ بمزرعةٍ قشرُ الأنُوف داريرُ مآديرُ

ترى صدورهم سُمْرًا مُحشرةٌ وفي أسافِلِهم نشرٌ وتمشيرُ[4]

---

* – المشريفية : السيوف.

[1]–خداش بن زهير، الديوان، ص 69 .

[2] – الديوان، ص70.

[3] – الديوان، ص70.

[4] – الديوان، ص71.

إن جميع الصفات التي أسقطها الشاعر على عدوه في الأبيات السابقة كانت للتقليل من شأنهم وإبراز ضعفهم وعدم قدرتهم على الصمود لوقت طويل في ساحة المعركة وذلك لإهانتهم واستحقارهم.

وأما ما كان في يوم نخلة* فهو تهديد واستهزاء يقول:

فإن سمعتم بجيش سالك سَرِفًا أوبطن مرٍّ فأخفوا الجرسَ واكتتموا

ثم ارجعوا فأكِبُّوا في بيوتكم كما أكــبَّ على ذي بطنه الهرمُ[1]

لينتقل بعدها لوصف ضعفهم وانهزامهم يقول:

ولوا شِلالاً وعُظمُ الخيل لاحقة كما تَخبُّ إلى أوطانها النعمُ[2]

أي أنهم عادوا متفرقين منهزمين، فالشاعر هنا جسد صورة الانسان الضعيف والمنكسر.

يضيف في موضع آخر ليصفهم بالحمقى فيقول:

ثم أحضرونا إذا ما احمرَّ أعيننا في كل يوم يزيلَ الهامَ مذكورُ

تلقوا فوارس لا مَيلًا ولا عُزلاً ولا هَلابيجَ ** **رَوَّاثينَ في الدور**[3]

---

* – يوم كان لقيس على كنانة وقريش، ونخلة موضع قريب من مكة، أحمد محمد جاد المولى وآخرون، مرجع سابق، ص 326

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص 94.

[2]– الديوان، ص 94.

** – هلابيج: الرجل الأحمق.

[3]– الديوان، ص 75.

فالشاعر في هذين البيتين يسقط صفة الشجاعة على الآنا وصفة الجبن والخوف على الآخر.

من خلال الصور التي رسمها الشاعر لعدوه نصل إلى أنه اعتمد في ذلك على أسلوبين متباينين، أحدهما كان من أجل تبيان مكانة وشأن العدو وسط بقية القبائل فجاء صوته منصفا ومقدرا لقوة وشجاعة خصمه وكذلك مبينا مكانته وسط القبائل، أما الأسلوب الثاني فقد كان هجاء واستهزاء واحتقار للآخر، وهذا النمط جاء نتيجة الشعور بلذة النصر والعمل على التفاخر بالأنا واحتقار الآخر من أجل إبراز قوة وعزة قبيلته.

3- صورة المرأة:

حظيت المرأة العربية بدور كبير في حياة الرجل، فهي الأم والزوجة والحبيبة والأخت والبنت والأساس الذي يقوم عليه المجتمع، ولقد "كان للمرأة في الجاهلية شأن وإرادة، وكانت صاحبة أنفة ورأي وحزم، (...) وكانت على الإجمال عظيمة الشأن عفيفة النفس، وعفتها من ثمار حب الاستقلال والأنفة "وهوالشْيء الذي جعلها تحتل مساحة واسعة في الشعر الجاهلي، إذ تعالت أصوات أغلب الشعراء الجاهليين إن لم نقل كلهم لتصوير الجمال الجسدي (الوجه، الشعر، الطول، اللون...)، والجمال الروحي (الحياء، العفة، الحنكة...) والغلبة كانت التصوير الجسدي على التصوير الروحي، واعتمدوا في ذلك على تشبيهها بعناصر الطبيعة كالناقة والبقرة والنار والحرب..." ،ولعل أكبر دلالة على مكانة المرأة في الجاهلية افتتاح الشعراء آنذاك قصائدهم بالوقوف على الأطلال وذكر الأحبة (...) فهويدل على ما كان

للأنثى من أهمية طورت هذه العادة ونمتها وكانت مادة ثرة للغزل"[1]، فهذا امرؤ القيس الذي استهل معلقته بقصيدة طللية بكى من خلالها ديار الحبيبة وخصها بوصف دقيق، يقول:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملِ

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمهَا لما نسجتها من جنوب وشمأل[2]

أما شاعرنا فيستهل قصيدته الدالية بمقدمة غزليه فيقول:

صبَا قلبي وكلفنِي كَنودا وعاود داءه منها التَّليدا

ولم يك حبُّها عرضًا ولكن تعلّق داءه منه وليدَا[3]

فهو هنا يتحدث عن اكتواء قلبه بنار الحب، وتعلق قلبه "بكنود" ووقوعه في شباكها، فتتجلى لنا في هذين البيتين صورة الحبيبة التي شغلت بال الشاعر وسرقت وجدانه، لينتقل إلى تصويرها تصويرا حسيا يقول:

وإذ هي عذبة الأنياب خودٌ تُعيش بريقها العطش المجُودا[4]

ألفاظ هذا البيت الشعري تشير إلى صفات هذه المحبوبة من عذوبة ونعومة وأن بريقها يحيي العطشان، فهوفي وصفه هذا يركز على المواطن التي تلهمه "فالمرأة في تصور الجاهليين مستودع الجمال كله وصورته وتمثاله"[5]، لكن هذه الحبيبة لا تلبث حتى تُعرض

---

[1]– ديزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1995، ص 94.

[2]– امرؤ القيس، الديوان، ص 110.

[3] – خداش بن زهير، الديوان، 39–40.

[4] – الديوان، ص40.

[5]–حسني عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الثقافية، ط1، 1998، القاهرة، مصر، ص17.

عنه استعلاءً وتدللا، كذلك هي الحرب في بدايتها تظهر في صورة مغرية وقوة لتشتد بعدها وتتهاطل المصاعب لتؤدي إلى الهلاك وهذا ما أشار إليه في قوله:

ذريني أصْطبح كأسًا وأُودي مع الفتيان إذْ صَحِبوا ثمودا[1]

فالشاعر في هذا البيت استخدم ألفاظ تشير للهلاك والفناء "أودي، ثمودا"، للدلالة على الشقاء الذي يعانيه إزاء حبه لهذه المرأة التي هجرته وجعلته وسط معاناة كبيرة، وفي وصفه هذا صورة للمرأة الأنانية المتكبرة.

كما نجد خداش في موضع آخر يوجه حديثه للمرأة فيقول:

ألم تعلمي والعلمُ ينفع أهله وليس الذي يدري كآخر لا يدري

بأن على سرَّائنا غير جهل وأن على ضرَّائنا من ذوي الصبر[2]

فهو هنا يخاطب المرأة لأنه يرى فيها المتنفس الذي يزيل همه ويعدل صفوه لجمع نفسه وقوته مرة أخرى لمواجهة العدو في أيام أخرى، ومن أجل إبراز قوة الأنا والفخر بها والتلذذ بطعم النصر، ولقد خصها بالحديث من أجل بث الحنين والشوق الذين يحملهما بداخله.

كما صور لنا خوف المرأة في الحرب ومحاولتها حماية نفسها من خطر العدو والهروب يقول:

ومُرقِصةٍ ترى زَفْيان* خيل وألهـــى بعْلها عنها الشغول

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص40.

[2] – الديوان، ص46.

* – الزفيان: السرعة.

وتأنسُ ركضَ مُشعِلة رِعالَ وقد جعلت رِجازتها* تميل [1]

فالشاعر هنا وصف لنا ارتعابها وخوفها على نفسها، فهو يريد تجسيد قوة الرجل من خلال إظهار الضعف الجسدي للمرأة، ومهما بلغت قوتها فهي لا تستطيع تغطية مكان الرجل في الحروب ولكل واحد منهما دوره الذي لا يستطيع الآخر تأديته كما يجب أن يكون.

"لقد كانت المرأة دائما موضوعا للرجل ولهذا فإنه صنعها على هواه وقدمها كما يحلوله"[2] ، وهذا ما لمسناه عند خداش من خلال تصويره للمرأة، على الرغم أنها لم تظهر بشكل كبير لأن جل أشعاره تدور في محور الحرب، ومع ذلك استطاع إبراز صورة حبيبته والتعبير عن حبه وشوقه لها، كما أشار إلى دور كل من الرجل والمرأة في المجتمع.

كانت هذه هي الصور التي رسمها خداش حتى يجعلنا نتعرف على الحياة الحربية في البيئة الجاهلية بشكل عام –لأنها كانت تحمل نفس المظاهر– وعلى أيام الفجار بشكل خاص، حيث بدأ بوصف حال المقاتلين (الأنا والآخر) قبل وأثناء وبعد المعركة، حيث اعتمد على غرض الفخر في تصويره للأنا، واعتمد على أسلوبين متناقضين في تصويره للآخر إذ بدأ بالإنصاف والإشادة لينتقل للهجاء والاحتقار، ليتطرق لتصوير المرأة في الحرب ويحدد دورها ومكانتها في هذه الظروف، وبعد عرض الشاعر لصورة الانسان انتقل إلى

* – الرجازة: مركب أصغر من الهودج، خداش بن زهير، الديوان، ص87.

[1]– الديوان، ص 87 .

[2]– حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 14 .

تصوير أقرب وأهم شيء في حياته وهو الحيوان الذي سيكون محور دراستنا في العنصر الآتي.

ثانياً- صورة الحيوان والحرب:

لقد كان للحيوان مكانة كبيرة في حياة الجاهلي، ذلك لأنه يعتمد عليه في طعامه ولباسه وكان مؤنسه عند اشتداد الحزن وتراكم الهموم بل تعدى ذلك وجعله كآلهة للعبادة "فالحيوان من بين الصور المهمة لمعبودات الإنسان القديم"[1]، والشيء الذي يؤكد لنا أهميتها هو قيام العديد من الحروب بسبب الحيوانات كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء، ودورها الكبير الفعال جعلها تظهر في أشعار الجاهليين بشكل بارز حتى أصبحت عنصرا من العناصر النمطية التي لا بد منها في معرض حديثهم عن الرحلة والحرب، ومن بين الحيوانات التي تغنى بها الشعراء نذكر: الناقة، الأسد، الفرس، البقر الوحشي، الظليم، النعامة، القطاة، العقاب، النسر، الحمام، البوم، لقد كانت هذه أكثر الحيوانات ظهورا في الشعر الجاهلي، ومن بين الحيوانات التي صورها خداش في شعره نذكر:

1- صورة الناقة:

لقد نالت الناقة الكثير من الاهتمام من طرف الجاهلي "لأن حياته كانت قائمة عليها، فهي بالنسبة له أعظم الحيوانات نفعا (...) كان يصنع بيته ولباسه وأثاثه وفراشه من أصوافها

[1] - علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط 1، 1981، ص 123.

وأوبارها وجلودها" [1] ، ولقد جاء ذكر منافعها في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [2] ، ويقول في سورة النحل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ [3]،كما كانت رفيقته في الحل والترحال ومصدر جلاء الأحزان والهموم وفي هذا المعنى يقول طرفة بن العبد:

وإني لأمضي الهم، عند احتضاره بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي [4]

فهو يشير في هذا البيت أن الناقة هي السبب في زوال همومه، وقد " أطال بعض الشعراء في وصف الناقة كما فعل طرفة وزهير وأوس بن حجر وبشير بن أبي حازم، وقد تكررت الصور التي قدموا بها الناقة مرتبطة بأنماط فنية تغلب عليها النمطية"[5].

أما عن الصور التي قدمها خداش سنتعرف عليها من خلال هذه الدراسة، وأول ما نصادفه هو تقديسه للإبل وقسمه بها في هذين البيتين:

لهم حَبقٌ والسُّود بيني وبينهم يدي بكم والعاديات* المحصبا

---

[1]–حنا نصر الحتي، الناقة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2007، ص33.

[2]– سورة المؤمنون، الآية 21.

[3]– سورة النحل، الآية 5–7.

[4]– طرفة بن العبد، ت عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط 1، بيروت، لبنان، 2003، ص 27.

[5]– حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضاياه وفنونه، مرجع سابق، ص 446.

* – العاديات المحصبا: الخيل، وهنا أراد الإبل.

إذا مقتب منكم تقيَّل قبلة ثنى رجله الأخرى عليَّ فشببا[1]

فهو هنا يجعلها كمصدر قوة ونصر لهم في المعركة، وذلك من خلال "ألبانها" لأن الأعداء حين يرون اللبن وهم في حالة تعب يستلقي أحدهم ويضع رِجلا على أخرى ويتغنى بشتمه، كما يُقسم أيضا بالنوق في معرض هجاءه لبني تيم يقول:

كلا وربّ القلاص الراقصات بنا عشية النَّفر أمثال القراقير * [2]

فالشاعر في هجاءه يشيد بقوة جيش قبيلته، ويقسم بالناقة وذلك دليل على تقديسه لها، ويصف حالها وهي في الحروب تذود على المقاتلين؛ حيث شبهها الشاعر هنا بالجارية من النساء وبين لنا مدى سرعتها وخفتها في ساحة المعركة، كما شبه ضخامتها وقوتها بالسفينة الطويلة، فالشاعر هنا وصف لنا الناقة وصفا حسيا لتجسيد صورتها، كما كان للناقة أيضا مكان في موضع آخر يقول:

كذبتم وبيت الله حتى تعالجوا قوادِمَ حربٍ لا تلينُ ولا تمْري[3]

فالشاعر في هذا البيت يسقط صفة الناقة التي تدر اللبن على الحرب فيجعل لها ضرعا هي الأخرى يدر العزيمة والشجاعة في روح الفرسان، أراد الوصول إلى أن الحرب تقوم على قوة المقتتلين وثباتهم على أرض المعركة والوقوف في وجه الأعداء وتحقيق النصر.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص58.

* – قراقير: السفينة الطويلة.

[2] – الديوان، ص76.

[3] – الديوان، ص79.

ب- صورة الخيل:

تعد الخيل ثاني حيوان شغل مساحة واسعة في حياة العربي، ولقد جاء فظلها في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، وقوله عز وجل﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، فالآيتان الكريمتان تبينان مدى أهمية وعظمة الخيل في حياة الإنسان ، فقد كان للخيل حضورا قويا في الشعر الجاهلي، لأنها كانت تمثل مصدر فخر وعز وقوة وثبات للجاهليين في السلم والحرب، وتعالت أصوات الشعراء لتجسيد مكانة الفرس في حياتهم، فهذا امرؤ القيس يقول:

وقد أغتدي والطير في وُكناتها بمنجرد قيـــــد الأوابـِــد هيــكلِ

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبـــرٍ معـــا كجلمود صخر حطه السيل من علِ

على العقب جياش كأن اهتزامه إذا جـاش فيه حميه غلي مرجـــل[3]

فالشاعر في هذه الأبيات يصف لنا فرسه وصفا حسيا، يبدأ بانطلاقهما في الصباح الباكر والطيور ما زالت في أوكارها، لينتقل بعدها لوصف حسنه في الإقبال وجوده في الإدبار ويشبه صوت ركضه بصوت غليان القدر، وكل هذه الصفات التي جاءت في الأبيات السابقة كانت من أجل تجسيد قوة وضخامة فرس الشاعر والفخر بها.

---

[1] – سورة الأنفال، الآية 60.

[2]– سورة النحل، الآية 8.

[3]– امرؤ القيس، الديوان ، ص 118 – 119.

أما عن مكانة الفرس في شعر خداش نتعرف عليها من خلال عرض الصور الآتية، والبداية كانت الجمع بين صورة الخيل والنوق فيقول:

بساهِمةٍ* أهنت لها عيالي وأمنحها الخلية والصعودا[1]

فالشاعر هنا يقدم الخيل والناقة على أهله وأولاده، لأنه يعتبرها الأساس الذي يقوم عليه فهو يدرك قيمتها في ميدان القتال، "ولم يكن هذا الاهتمام بالخيل من العرب للزينة والتفاخر، فقد كانت وسيلتهم إلى العزة والنصر، فالعربي محارب مقدام بحكم ظروف حياته"[2]، ولقد بين لنا خداش دور الخيل في معركة وصور قوتها فقال:

وجُردًا في الأعنَّة مصغيات حداد الطرفِ يعلكن الحديدا[3]

فهو في هذا البيت يصف الخيل على أرض المعركة ويبرز دورها في تحقيق النتيجة، وفي ذلك تصوير للخيل القوية التي تعتبر مصدر اعتزاز ونصر، وفي ذلك نوع من الفخر والتعظيم لقوة الأنا.

لينتقل بعدها للحديث عن خيل العدو ويقول:

وما برِحت خيل تثورُ وتدَّعي ويلحق منهم أولون وآخر[4]

---

* – ساهمة :الناقة الضامرة.

(1) – خداش بن زهير، الديوان، ص42.

(2) – الأسود الغنداجي(أبي محمد الأعرابي)،أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، ت محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.س، ص19.

(3)– خداش بن زهير، الديوان، ص 43 .

(4) – الديوان، ص69.

نبقى مع الشاعر في إطار التأكيد على مكانة الخيل في ضمان الانتصار، وقد بين ذلك من خلال الإشارة إلى كثرة الخيول في المعركة وبذلك كثرة عدد الخصم، وكانت النتيجة في ذلك اليوم لصالح الآخر، فخداش يرجع سبب انهزامهم في هذا اليوم إلى كثرة الجيش، ونجده في موضع آخر يشبه أعداءه بالخيول الهرمة وينعتهم بالجبن وعدم القدرة على الصمود يقول:

ونركب خيلا لا هَوادةَ بينها ونعصي الرماح بالضَّياطرةِ الحُمر[1]

قال يصف الخيل يوم نخلة:

لما رأوا خيلنا تُزجى أوائلـــها أساد غيلٍ حَمى أشبالها الأجَمُ

ولوا شلالا وعظم الخيل لاحقة كما تخب إلى أوطانها النعـم

ولت بهم كل محضار ملمـلمة كـــأنها لقوة يحتثها ضرم[2]

يصور الشاعر في هذه الأبيات قوة الخيل ودورها في مواجهتهم للأعداء، ويصف مدى سرعتها ويشبهها بالعقاب لسرعتها وخفتها كأن بطرفها نار تحثها على السرعة، فهو يبرز مدى فعالية الخيل في تحقيق النصر لصالحهم في تراجع الخصم من شدة قوتها.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص79.

[2] – الديوان، ص94.

ج- صورة الأسد:

لقد استخدم الشاعر الجاهلي الأسد في شعره من أجل إبراز العديد من القيم الاجتماعية كالقوة والبطش وفرض السيطرة والكبرياء وعزة النفس، وعدت هذه الصورة من بين أكثر الصور ظهورا في الحروب من أجل إبراز الشجاعة والقوة وفي هذا المعنى يقول خداش:

فعاركنا الكماة وعاركونا عراك النمر واجهت الأسودا[1]

فهو يصور احتدام الصراع بين قبيلته وقبيلة العدوفي ساحة المعركة حيث شبه الآخر بالنمر والأنا بالأسد، وذلك على أساس أن الغلبة تكون للثاني على الأول من أجل تجسيد قوة وبطش فرسان قبيلته.

وفي صدد الافتخار بنفسه وقوته يقول:

أنا الحامي الذمار وليث غاب أشب الحرب أشعلها وقودا [2]

في هذا البيت يصف نفسه أثناء القتال ويشبهه نفسه بالأسد لتصوير شجاعته وقوته وإزهاقه لأرواح العدو لإبراز دوره في تحقيق النصر لقبيلته، ومن أجل الافتخار بعزة نفسه.

كما قام بتصوير بلاء الجيش في يوم الحريرة:

لاقتهم منهم آساد ملحمة ليسو بزراعة عوج العراقيب[3]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص44.

[2] – الديوان، ص45.

[3] –الديوان، ص60.

رسم الشاعر صورة جميلة لفرسان قبيلته حيث شبههم بالأسود للفخر بقوتهم وثباتهم في الحروب و، كما استهدف الخصم ليعبر عن ضعفه ويقلل من شأنه.

ومن بين الحيوانات التي صورها خداش في شعره أيضا نجد الذئب وذلك في صدد وصفه يد أحد المقاتلين في توجيهه الطعن للأعداء ويشبهها بيد الذئب في السرعة:

يخالس الخيل طعنا وهي محضرة كأنما ساعداه ساعد ذئب[1]

فهو هنا أسقط صورة الذئب على المقاتل للتعبير عن قوته وخفته وسرعة حنكته ودهائه.

يبدوأن صورة كل من الأسد والذئب في ديوان خداش جاءت لتصوير ذات الشاعر وفرسان قبيلته في الحروب، ومن أجل التفاخر بقوتهم وشجاعتهم وحنكتهم ورفع مكانتهم وسط بقية القبائل ولترهيب أعدائهم.

من خلال الصور السابقة نجد أن الحيوان استحوذ على أغلب الصور الفنية التي اعتمد عليها خداش في أشعاره، الذي سعى من خلالها لرسم صورة لأيام الفجار وأكثر شيء ركز على إيصاله للمتلقي في هذا العنصر هو إبراز مكانة ودور الحيوانات في الحياة الحربية، وذلك من أجل تجسيد شجاعة وقوة الفرسان والفخر بصنائعهم.

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص60.

ثالثاً- صورة الزمان و الحرب :

شكلت قضية الزمن هاجسا كبيرا لدى الشعراء الجاهليين فانشغلوا به " فمن وراء هذا الشعر يكمن إحساسهم بالزمن ومأساة انقضائه إحساسا قويا بليغا عظيم المرارة، تجلى هذا الإحساس في مختلف موضوعاتهم الشعرية، في وصفهم لرحيل المحبوبة، وانفصام الصداقات، وتبدد الشمل، وخراب الديار التي كانت آهلة، وانقضاء الربيع، الرحيل الخصيب، ومجيء الصيف الجاف الحار، والشباب يولي سريعا بكل عنفوانه ومباهجه وملذاته، ومصارع الحيوان الوحشي، وتقلبات الصراع بين الإنسان والإنسان من نصر إلى هزيمة ومن حياة إلى موت ". [1]

فإحساس الشاعر بالزمن يختلف عن إحساس الإنسان العادي فهو ليس مجرد زمن مادي لا أهمية له بل يعيد الشاعر صياغته بالاعتماد على الخيال وفق رؤيته الخاصة من بعد مادي إلى بعد ذاتي إنه "يختلف عن الزمن النحوي والفلسفي، فهوزمن أدبي خالص ".[2] يعكس لحظات الزمن النفسي.

فهناك من رأى فيه الرتابة وطول المدة والاستمرار فيظهر تواصل الماضي بالحاضر والمستقبل.

---

[1] – محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر، ج 1، د.ط، القاهرة، د.س، ص 243.

[2] – عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري "دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمينة "، دار الحداثة، ط 1، بيروت، 1986، ص158.

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ اليَـوْمُ أو أمسُ أوغَدُ كــذلك الزمــانُ بينَنَـا يَتـرَدَّدُ [1]

وهنالك من يرى فيه قــوة قاهرة تلتهم الحـــــياة فربطه بالــزوال والفنــاء والموت.

ولَــقَدْ بــَدَالِــي أَنَّــهُ سيغــولني ما غَالَ عادًا والقُرُونَ فَاشْعَبُوا [2]

فلسفة الإنسان الجاهلي للزمن عبرت بإحساس صادق عكس أحواله النفسية والاجتماعية في بيئته الجاهلية.

1- صـــــورة الطلل:

الطلل بالنسبة للشاعر الجاهلي المثير الرئيسي لدغدغة شعوره واستنطاق قريحته، فجاد بأروع الإبداعات، فالشاعر قد يمر على تلك الديار المندثرة بمحض الصدفة، أويعود إليها من تلقاء نفسه انقيادا لعواطفه، فيقف أمامها، فتراوده تلك الذكريات الجميلة، باجتيازه للحاضر والعودة به إلى أدراج الماضي " فالطلل هوالصفحة الوحيدة التي تطل على الماضي وتؤرخ له بإخلاص سواء كان ذلك على مستوى الاستقطاب الموضوعي أو على المستوى الوجداني أو النفسي، فالنبش في هذه الصفحة هو بمثابة إعادة الحبر للأحداث المتحفظ بها طول الزمن"[3] فيصرح بما تجيش به عواطفه نحو ذلك الزمن الجميل.

---

[1] – حاتم الطائي وأخباره، الديوان، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.س، ص 262.

[2] – طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق درية الخطيب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975، ص117.

[3] – حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب، 2001، ص35.

تُـذَكِّرُنِي أَطْلَالُ هِـنْد مع الهـــوى دَعَـائِمَ منـها قـــائمُ ومُنَـزَّعُ

على العصر الخالي كأنَّ رُسُومَهَا بتنـهِيَةِ الركنين وشي مُرَجَّــعُ[1]

إن إدراك الشاعر الجاهلي وجوده في مجال زماني كإدراكه تماما وجوده في مجال جغرافي، ومن هنا لا يمكننا الفصل بين الطلل والزمن وطلل خداش تضمن عدة أزمنة جسدت في المقابل عدة نوبات شعورية انتابت الشاعر في أثناء وقوفه على الأطلال إذ تعتبر هذه اللحظة في الزمن الحاضر وهومقفر لم يبق منه سوى آثار الديار تتجول فيها الضباء.

أمن رسم اطلال بتوضح كالسطر فماشــن من شعر فرابية الجفْر

إلى النخل فالعَرْجَيْن حول سُوَيقَةٍ تأْنَسُ في الأدم الجَوَازِي والعُفَرِ [2]

بمثابة إشراف على الموت، فعكست الشعور بالحزن والأسى، فتبادر إلى ذهن الشاعر لحظة الانهزام في المعركة، إن ابتداء الشاعر بالاستفهام غرضه تجاوز تلك اللحظة التي انتابته بسرعة من أجل تجاوز قسوة الحرب التي سببت الدمار والخراب لتلك الأماكن تحت وطأة قهر العدو، فالاستفهام أحدث نوعا من التوازن لدى الشاعر من أجل انتزاع النصر بل من أجل انتزاع الحياة في تلك اللحظة.

فنظرته الحالية للمكان استقاها من خلال زمن غابر، فهذا التساؤل يجسد الرغبة في القطيعة بين ذات الشاعر وماضيها الأليم لتجسد الرفض التام لهذا الانهزام أمام العدو،

---

[1]– النابغة الذبياني، الديوان، تح. محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1980، ص182.

[2]– خداش بن زهير، الديوان، ص 77.

فالاستفهام هنا إنكاري، إذ الشاعر يعلم كل العلم أن هذه هي دياره رغم ما طرأ عليها من تغير، به ربط الحاضر بالماضي فعبر في هذه اللحظة عن تحدي الشاعر للحظة الماضية والصمود أمام قهر الحرب وطغيان العدو، مقتنعا بضرورة المقاومة كمقاومة هذه الأطلال في وجه الطبيعة، وأمام تحدي تحولات الزمن وانقلابه بين قوة وضعف يظهر الشاعر صامدا متفوقا على عدوه من خلال بقاء الرسوم، والديار أصبحت رسوما مما يعني أن زمنا طويلا مر عليها مما يؤكد أن قوة قبيلته لها عهد تضرب جذوره في أعماق الماضي وبالتالي انتابته لحظة من الأمل الكبير في تفوقه في المستقبل.

ربط الشاعر بين الطلل في الحاضر والرسم في الماضي ومحاولة القفز إلى اللحظة المستقبلية التي طال انتظارها، وتمثل طموح الشاعر في الفتك بعدوه والنيل منه.

فالزمن تجسد في هذه الوقفة من خلال عودة الشاعر إلى ماضي أجداده ومجدهم حتى يبعث الأمل في نفسيته من أجل تحقيق النصر في المستقبل.

الشاعر في أثناء انفعاله ليس لديه متسع من اللحظة الإبداعية كي يمر بتلك المراحل المعروفة من التأمل حتى يقف فيسأل الديار ويدعو الرفيقين للبكاء معه، فاجتاحته الأفكار وانهالت عليه دون سابق إنذار ليطفئ تلك الحماسة في هذه اللحظة بالذات فالتهم الزمن الحالي تلك المقدمات، فتعاقب تلك الأماكن وتعددها "توضح ماشن، ورابية الجفر، النخل، العرجين، سويقة" هي لاشك وأنها مواقع لمعارك انتصر فيها الشاعر، فتوالي ذكرها تزيد لحظة الشعور بالأمل امتدادا وتوقف تلك اللحظة كلمة " قفار" التي تجعل الشاعر يستفيق

من الحلم الذي يسيطر عليه، فتنتابه لحظة شعورية أخرى تكشف إزاء ذلك المشهد الذي يوحي بالوحشة والقفر عن إحساس الشاعر بالأسى واللوعة حين ضعفه أمام عدوه وانهزامه وهذا يعني طبعا الموت والفناء، فعاد إلى اللحظة الآنية ليجسد خوفه أمام قوة عدوه الذي سيقضي عليه إن ضعفت قبيلته أمامه فأصبحت هذه الفكرة هاجسا يراوده بين الحين والآخر، فعودته إلى هذه اللحظة تعي شعوره بالخوف من العجز والضعف.

وكل نفس بشرية تسعى إلى الحياة والتشبث بالبقاء، عمد الشاعر إلى تجاوز هذا الزمن الحاضر إلى زمن المستقبل ليزداد تشبثه بالأمل في الانتصار في المعركة والقضاء على العدو، وهذا الأمل تجسد في صورة "أم رافع" حبيبة الشاعر ترعى مذانبها في هذا الطلل وهي تبدوفتاة جميلة في مقتبل العمر يقول :

قــفار وقد ترعى بها أم رافع مذانبها بين الأسِلة والصــخر

وإذ هي خود كالـوذيلة بادِنٍ أسيلةٌ مايبدو من الجيب والنَّحرْ [1]

فالشاعر اعتمد المرأة ليعود إلى لحظة بقاء مجده واستمرار قوته عبر طول الزمن فجسد بذلك الصمود والانتصار.

ومازال الزمن متجها نحو المستقبل مصطبغا بطابع القوة الذي لا يعرف التراجع إلى الوراء، فتشبيه الشاعر المرأة بغزالة تلحق بغزال يناديها من أماكن عالية ليجسد في هذه اللحظة قوة قبيلته حين تحالفت مع قبيلة مجاورة غاية في القوة لا يقف في وجهها أقوى

---

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص77.

الأعداء، فدعم قوته وزادت ثقته بنفسه، فجعل من المرأة معادلا موضوعيا قضت على شعوره بالضعف فتجاوز إلى لحظة أخرى هي استمرار للحظة السابقة، فكأنما الشاعر يفعل المستحيل من أجل دوام تلك النوبة الشعورية وعدم مقاطعتها، والمضي قدما في معايشتها والتي هي بمثابة تواصل بالمستقبل المنشود، وشغفه بحصول تلك اللحظة تجاوز الشعور بالأمل إلى الوقوف عند اليقين من خلال دعم الطلل بصورة "أم رافع" التي تبدو قوية، ويظهر ذلك من خلال مواصلتها للرعي في وقت اشتداد الحر في منتصف النهار حيث الشمس الحارقة فتلتجئ إلى أطراف الأراك والسدر لتحتجب منها.

إذا الشمس كانت رَتْوَةً من حِجَابِهَا تَقَتْها بأطراف الأراك وبالسدر [1]

فلحد هذه اللحظة يبدو الشاعر مستقر الحالة النفسية، فالزمن السابق مستمر، والشاعر مازال واثقا من انتزاع النصر والقضاء على العدو في المستقبل.

انبثقت هذه اللوحة الطللية من بين ثنايا لحظات زمانية عكست الشعور بالتوتر العنيف الذي تملك الشاعر بين يأس وأمل وضعف وقوة، فانحرف الطلل عن منظره المادي الحقيقي إلى صورة فنية متولدة عن إحساس الشاعر.

2- صـــــورة الليل:

مفهوم الليل في الشعر العربي تجاوز معناه المادي المجرد الذي يعني الفترة الزمنية التي تلي غياب الشمس، إذ تفنن الشعراء في تصويره فصار منبع وحي وإبداع جسدوه في

---

[1]- خداش بن زهير، الديوان، ص 78.

أجمل الصور الشعرية، كاشفين عما يجول في خيالهم فعبروا عن عواطفهم بكل صدق، ولونوه بألوانهم النفسية فرأوا فيه المعاناة والخوف والأحزان والضعف حتى بدا ليلا طويلا لا يكاد ينتهي.

وليل كموج البحـر أرخى سـدوله عليَّ بأنـواع الـهمـوم ليبتلـي

فقـلت لـه لمَّا تمطـى بصـلبـه وأرْدَفَ إعجـازا ونـاء بِكَلْكَـلِ

ألا أيهـا الليل الطويـل ألا انجلـي بصبح وما الإصْبَاح منك بأَمْثَلِ

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفـتـل شـدت بـيـذبل [1]

وجسدت هذه الأبيات أروع تصويـر إبداعي فني لظاهـرة الليل.

وصور الليل عند شعر الحرب عند خداش انبثقت من يوميات فارس يعيش في خوض دائم للمعارك، فرافقه الليل في حياته الحربية من لحظات ولادتها إلى أن لفظت أنفاسها، فرسم أجمل اللوحات الفنية، مهتما بكل تفاصيلها فنقل تلك المشاهد بكل أمانة.

فهو ينقل مشهدا لليلـة الرحلة إلى المعركة فيقول:

إذا مالثُّـريَّا أشْـرَفَتْ في قتامها فُـوَيْقَ رُؤسِ الناس كالرُّفْقَة السَّفرِ

وأردفَـتِ الجـوزاء يَبْرُقُ نَظْمُهَا كَلَـوْنِ الصِّـوار في مراتعـه الزُّهْرِ

إذا أمست الشِّعْرَى فاسْتَقَلَّ شعاعها على طُلْسَـة من قَـرَّ أيَّامها الغُـبرِ [2]

---

[1]– امرؤ القيس، الديوان، ص 117.

[2]– خداش بن زهير العامري، الديوان، ص46.

فهي ليلة منيرة تتضح فيها الرؤية تظهر فيها الثريا فوق رؤوس الناس كأنها رفيقتهم في سفرهم على طول الطريق، فتنيره مع الجوزاء التي يشبه لونها لون قطيع من بقـر الوحـش الذي يرعـى في مراتعه، وشعاعها يخف إذا ظهرت الشعرى، فتبدو ليلة سوداء مع غبرة تتبين من الأيام الباردة.

تلونت صورة هذه الليلة بمزاج الشاعر، فقد طال ترقبه لها وانتظرها بفارغ الصبر، فهاهوأوانها قد حان أخيرا، فشوقه للهجوم على عدوه ومباغتته بكل حماسة يزيد شيئا فشيئا إلى أن وصل إلى ذروته فنفذ صبره، ولم يطق التريث بظهور الشعرى في الليالي الحارة، فعكست حرارة هذه الليلة حرارة تلهفه للقاء عدوه، بعدما أمضى حالة نفسية أصابها يأس مع برودة في الإحساس برودة أيام الشتاء التي حالت بينه وبين يومه المرتقب، فمرت بطيئة طويلة.

إن الليلة التي تظهر فيها الشعرى يكون يومها شديد القيض مرتفع الحرارة لا يقوى على تحمل السفر فيه إلا فارس بطل شجاع يفتك النصر افتكاكا.

يسعى الشاعر الجاهلي لأن تكون جميع صوره مثالية، فرسم خداش صورة لليلة الأنموذج والتي لا يكون من ورائها إلا فرسان أبطال ليؤكد أن الغزو فعل مقدس، إنها صورة فنية جسدت صورة حقيقية من واقع المجتمع الجاهلي الذي يعيش في صراع دائم من أجل البقاء وهذا الصراع فرضته عليه بيئته الصحراوية القاسية.

وليؤكد ثقته بنفسه، فهولا يسير مسافة ليلة واحدة فحسب تحت تلك الظروف إنما هي عدة ليال.

لِيالِي إذ تَرَيَّـعُ بَطْن ضِيَمٍ فَـأكْنَافُ الوضيحَة فالبُرُودَا [1]

فالشاعر قطع مسافات طويلة حتى يصل إلى أماكن لقاء عدوه، فعكست هذه الصورة شدة الشاعر وصلابته في قهره للطبيعة، وقدرته وعزمه على تحمل مشاق السفر وصعوبات الطريق لزمن طويل.

إن مقاومة الشاعر لقسوة الطبيعة ومواجهة مجاهل الظروف المناخية وقطعه للفلوات والصحاري القفار لعدة أيام بلياليها هوانتصار على شبح الموت الذي ظل مختبئا بين جوانح بيئته، فأظهر نوعا من التحدي لإثبات قوة الذات.

إن إحساس الشاعر بقوته أمام مظاهر بيئته التي لا ترحم وعدم الامتثال لرغبتها في هلاكه وفنائه، يكشف دون شك عن راحة نفسية، وعن استقرار داخلي عاشه الشاعر في تلك اللحظة الشعورية والتي مرر من خلالها تجربته الواقعية في هذا النص الشعري، فقضى على همومه التي شغلته، فتغلب على يأسه وعن حالة الشعور بالضعف والهزيمة أمام عدوه الذي يتربص به، فقهر هذه الظروف هوقهر للعدو.

يظهر في تعاقب الليالي وتجددها إصرار الشاعر الدائم وأمله الكبير في عصفه من وراء قبيلته بعدوه وإزالته من الوجود، ليبسط قوم الشاعر نفوذه كما تبسطها الليالي على الكون،

---

[1] – خداش بن زهير الديوان، ص40.

فحملت هذه الصورة معنى التجدد والاستمرار في السيطرة، وتوالي الانتصارات، وبالتالي بقاء قبيلة الشاعر وخلودها.

ولما كان النصر حليف قوم الشاعر في يوم نخلة أعظم أيام الفجار صور الليل قائلا:

ياشدَّة ماشـددنا غير كاذبة على سخيـنة* لولا الليـل والحَـرَمُ[1]

عبر الشاعر في هذا البيت بصيغة الضمير الجمعي، فيظهر مشهدا لمقاتلين أشداء أقوياء أبطال يحاربون بكل عزم وثبات فإذا بالليل يسير الكون بظلامه، ويمنعهم من مواصلة القتال فكان مانعا للنشاط متصديا للحركة.

أحس الشاعر أن الليل أرخى سدوله بعدما استحلى القتال وبات متيقنا من النصر، فكأنه تآمر مع العدو ووقف إلى جانبه، فصار حليفا له، فقضى على لحظة الإحساس بالشدة والبأس، فسحق رغبة الشعور الجمعي في مواصلة الحرب، فأطفأ حماسة المقاتلين، كسر إرادتهم في سحق العدوإلى النهاية فكبح جماح رغبتهم، فأصبح عائقا في تلك اللحظة حال دونهم ودون الظفر بعدوهم كما كانوا يأملون، فحدث تصدع في الزمن السابق، فالشاعر يتمنى لوأن النهار دام لتيقنه بعدم تكافؤ القوى.

* – السخينة: طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة في رقته وفوق الحساء، كانت تؤكل عند القحط والشدة لشحة الطعام، عيرت بها قريش.

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص43.

كشفت هذه الصورة عن قلق الشاعر الذي ظهر عاجزا أمام هذه الظاهرة الكونية الطبيعية، فوقف أمامها مكتوف الأيدي لا حول ولا قوة له، ولا يملك أدنى حيلة تجاهه بعدما كان يظن أن الشجاعة والقوة وحدهما كفيلتان للقضاء على العدو.

لا شك وأن الشاعر واصل القتال إلى آخر لحظة تظهر فيها الرؤية فهو لم يحس تلاشي النور شيئا فشيئا لحدوث اللذة والمتعة في القتال فظن أن الليل نزل فجأة، فتحولت حالته من سعادة وطمأنينة إلى حالة قلق واضطراب وبدأ الخوف يدب في قلبه لفرار عدوه فنجاته تعني بقاؤه حيا.

إن رفض الشاعر لهذا الزمن هورفض لبقاء عدوه على قيد الحياة حين فر من المعركة، إنه شعور سلبي أحسه الشاعر تجاه الليل الذي وفر الحماية والأمان لعدوه، فيبقى دوما يشكل خطرا يهدد حياته.

رغم ظلام الليل الدامس وعتمته تتحول قيمته من سلبية إلى ايجابية في صورة معاكسة للصورة السابقة، ففي اليوم الرابع من الفجار الثاني والذي هزم فيه قوم الشاعر يقول:

فلما دنونــا للقِبابِ وأهلها أتيــح لنا ريب مع الليل نــاجِر [1]

تبدو عاطفة الشاعر منحازة لستر الليل، بل وترى فيه راحتها واطمئنانها فالشاعر مترقبا مترصدا قدوم الليل، فهوينتظره بفارغ الصبر –وذاته منصهرة طبعا مع روح الجماعة.

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص69.

فانحاز الشاعر لزمن الليل فتملكته رغبة عنيفة في قدومه، فصار الملاذ إلا من لذات الشاعر المنكسرة من البداية، ورفضه لزمن النهار الذي اعتبره مؤشر للخطر إنما هو إحساس بمرارة عجز الذات وفي نفس الوقت هواعتراف بقوة الأخر.

عاش الشاعر زمننا مرعبا أدخل في قلبه شعورا بالانهزام أحدث تأثيرا على نفسيته، فانتابته نوبات من الخوف والقلق، فصار ينتظر ليلا واقعيا ينقذه مما هو فيه.

أتتنا قريش حافلين بجمعهم ليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ[1]

أول فعل ابتدأ به الشاعر نفسه الشعري هو"أتى" ليعبر عن شدة هلعه ودهشته من قوة عدوه فكأنه اظهر استسلامه في تلك اللحظة، لكن سرعان ما عاود ذكر نفس الفعل مرة أخرى.

لـدُن غدوةٍ حتى أتى الليل وانجلت عَمَـاية يومٍ شـره متظاهرُ[2]

تكرار الفعل أتى في مدة زمنية قصيرة فتارة ينسبه للعدو وتارة لليل، جعل من الليل شخصا يأتي كما تأتي جيوش العدو ليصبح معادلا موضوعيا، أحدث اتزانا في نفس الشاعر فكأنه وقف في صف الشاعر ضد العدو.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص69.

[2] –الديوان، ص69.

في تلك اللحظة رأى الشاعر في الليل قوة خارقة أنقذته من العدو ومن هلاك محتوم، فالصراع أصبح بين العدو والليل الذي بعث بعتمته سترا وأمانا لينبئ بشعلة الحياة والأمل فحوله من زمن واقعي إلى بطل خارق رأى فيه القداسة والعظمة.

اعتبر الشاعر الليل منفذا إلى بر الأمان والاستقرار، وشعاعا أنار دربه، فأخذ ضياء النهار الذي حبسه الفرج فقضى على الخوف والرعب من هول العدو، فكأن الشاعر هرب من زخم الحرب في النهار وضوضاء أنين الجرحى وأصوات الأسلحة إلى الليل الساكن بظلامه والهادئ بستره مفرج الهم ومزيل الكرب وموقف القتال فأصبح مرادفا للنهار.

جسد الليل الشعور بالسكينة والهدوء بعد طول عناء وألم فكأنه الزمن المنتظر فخلص الشاعر من وطأة ضغط الحرب، ففي جنونه ستر وحماية وانفلات من مخالب العدو، فكان الليل نهار والنهار ليل انبثق النور من عتمته فخلصه من وطأة ضغط الحرب، فالليل أسعف الشاعر من آلامه وانتشله من مآسي النهار، فظهر النهار هوالموت والليل هوالذي منح الحياة للشاعر.

إن في انتظار الشاعر لقدوم زمن الليل بكل تلهف تعبير عن مقت الحرب التي فرضتها الظروف الاجتماعية القاسية، ورفض للوضع القبلي الطاغي وانفلات من تلك التقاليد وهروب من ذلك الواقع الأليم إلى عالم يسوده الأمن والسلام.

إذا كانت صورة الليل لدى الشعراء الجاهليين يرتسم فيها الخوف والقهر والمعاناة والألم فإن خداشا عدل عن هذا فظهر بقيم ايجابية في أغلب الأحيان، إذ جعل منه رمزا للقوة

والتحدي للظروف البيئية والاجتماعية، واعتبره زمنا مقدسا يظهر فيه بطلا خارقا يتحدى قوى تعترضه، كما أخذ الليل مكانة النهار فأضحى واهبا للحياة.

وظهر الليل عند خداش بقيمة سلبية واحدة، وذلك حين جسد صورة المتحدي الذي وقف في وجه الشاعر فبدا حليفا للعدو.

3- صـــورة اليوم:

لقد عاش الإنسان الجاهلي في مجتمع تسوده العصبية القبلية مما انعكس سلبا على الأمن والسلام، فأصبحت الحرب رفيقة حرب الإنسان العربي بل ونزعة طبيعية جبل عليها، فنادرا ما ينعم بأيام الهدوء والسلام –والتي يعتبرها خروجا عن الحالة الطبيعة – فحلت الحرب محلها حتى لتظهر أنها الأصل لكثرتها، وقد أطلق العرب لفظة الأيام على تلك الوقائع التي كانت تدور بينهم، وبما أن الشاعر ابن بيئته فقد تغنى بتلك الأيام ورسم لحظاتها بأنامل وجدانه تارة وعقله تارة أخرى.

وقدم خداشـا صورة صادقة عن تلك الوقـائع التي عـرفت بحروب الفجار وكشفت عن فلسفة الإنسان الجاهلي بصفة عامة للحرب، وجسدت بصفة خاصة رؤية الفارس الذي نشأ تحت ظلها واكتوى بنارها.

ففي إحدى قصائده التي قالها في حرب الفجـار مفتخرا بقوة قومه صور الأيام قائـــلا:

وإن المـــرء لم يخلق سِلامًا ولاحجَـــرًا ولم يخلق حديدا

ولكن عايش ماعـــاش حتى إذا ما كـــاده الأيام كـــــيدا[1]

عكست هذه الصورة ضعف الشاعر واستسلامه أمام جبروت الحرب، فهي قوة قاهرة تؤدي لا محالة إلى إبادة الإنسان وفناء الرجال، فيظهر الإنسان عاجزا أمامها مهما أوتي من قوة، هذا الشعور ادخل الشاعر في جومن الانهيار النفسي، فحياته مهددة في كل وقت وفي كل حين.

نقل الشاعر تجربة واقعية، فهو مهما كان فارسا قويا صلبا فإنه سيأتي يوم ستضعفه الأيام، فهو وإن ربح الحرب اليوم فانه سيخسرها غدا، فهي تغري الفارس الشجاع فما يلبث يعلم حقيقتها حتى يذوق ويلاتها، فخداش الشاعر الفارس الذي يتولى إشعال حمية المقاتلين وإذكاء روح الحماسة فيهم، يتحكم فيه اللاشعور في هذه اللحظة التي سيتحضر فيها عاقبة الحرب، وهو يعرفها حق المعرفة، فبدا ضعيفا مقهورا أمام سلطته.

فبدلا من أن يكون الإحساس بالقوة والحماسة في قوام الفارس المقدام الذي لا تكل عزائمه، نجده في هذه اللحظة يقدم صورة منبعثة من نفس ملؤها النفور والاشمئزاز، فهي خائنة بغيضة تظهر عكس ما تبطن.

شخص الشاعر الأيام وألبسها قناع المكر والغدر والخداع تقضي على الأرواح دون رحمة، دائمة الجوع كالذئب تلتهم كل ما يعترض طريقها، من الصعب التفوق على جشاعتها.

---

[1] – خداش بن زهير، ص40.

في النهاية هو علو لصوت العقل وحضور قوي له، وخفوت لصوت العاطفة، فالشاعر بدا في هذه اللحظة رزينا متبصرا في عواقب الأمور، فقدم دعوة صريحة إلى نبذ الحرب وإنشاء السلام.

وفي اليوم الرابع من أيام الفجار والثاني والذي هزم فيه قوم الشاعر، رسم صورة أخرى لليوم قائلا:

وما بَرِحت خيـل تثـور وتـدعـي ويلحـق منهم أولون وآخـرُ

لدن غدوة حتى أتى الليل وانجلت عمـاية يـوم شرُّه متظـاهـرُ [1]

عاش الشاعر بالموازاة مع الصراع الخارجي للعدو وصراعا داخليا ذاتيا، فتداخل الزمن التجريبي الواقعي بالزمن النفسي الانطباعي ليمارس سلطة ضاغطة على ذات الشاعر ليحس بأنه عين العناء مبديا عجزه أمامه، فأقر بالهزيمة واعترف بالضعف، وثقل إحساسه بالقلق والاضطراب والتوتر بالتضعيف والشد على حرف الراء ليخرج ما بداخله.

شخص الشاعر اليوم، فجعل منه إنسانا يبدي شرا ويمارس أفعالا متكررة، ترددت قسوتها وقهرها على نفسية الشاعر، أحس الشاعر بالاغتراب خلال هذا اليوم لأنه لم يحقق طموحه وفشل في تحصيل النصر، فانكسرت ذاته، وفقد ثقته بنفسه فبدا يوما معتما لم تتضح فيه الرؤية فيه غموض مما ينتظره وخوفا من المجهول، سعى الشاعر في هذه اللحظة إلى الخلاص من عذاب الواقع المليء بالآلام والمكابدة، فأزمته النفسية وصلت إلى ذروتها، إن

---

[1] – خداش بن زهير، ص69.

انتصار الشاعر على زمن اليوم إنما هو انتصار على المصير المحتوم فلقد نجا من موت محقق وكتبت له حياة جديدة لم يكن يتوقعها.

رسم خداش صورة نفسية عكست صراعه مع الفناء، فتلاعب بإحساسه قوتان جدليتان متضادتان (الحياة، الموت)، فعبر عن تمسكه بالحياة بالفعل " انجلت " لتتنفس الصعداء ويستأنف الحياة.

وفي صورة أخرى شبه اليوم بحيوان له ذنب طويل في قوله:

نكُبُ الكُمـــاة لأذقــانها إذا كـــان يوم طويل الذنبِ [1]

إن الزمن يطول في الأوقات الصعبة ويمضي بسرعة في الأوقات السعيدة ويوم الشاعر وفيه من الشرور كثيرة بدا طويلا لا يكاد ينتهي، والشاعر لم يذكر طول هذا اليوم واستمرار النكبات فيه إلا ليعبر عن صموده في وجه عدوه وافتخاره بفروسيته، وقد عبر بالفعل المضارع "نكبُّ" ليؤكد استمرار الآلام على مدى اليوم.

اعتبر خداشا الحرب ميدانا للموت وقهره لهذا الزمن هو قهر الموت وتثبيت بالحياة، وكشف في صورة اليوم عن أهم ظاهرة اجتماعية في المجتمع الجاهلي والتي كانت واحدة من أخطر الأسباب الداعية إلى نشوب الحرب قائلا:

ويوم تَخْرُجُ الأضـــراس فيه لأبطـــالِ الكُمَـــاةِ به أَوَامُ[2]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص62.

[2] – الديوان ، ص 97.

أزالت الصورة الغبار عن نفسية قلقة مضطربة مندفعة بقوة إلى استرجاع كرامتها وحماية حرمتها المنتهكة بعدما عانت إحساسا بالعجز والضعف، فقررت أن تزيح عن نفسها هذا العبء الثقيل فتأخذ بثأرها.

حول الشاعر قضية الأخذ بالثأر من مؤثر خارجي (اجتماعي) إلى ضغط داخلي انعكس في صورة فنية تحمل معنى الرجولة واثبات الذات، والرغبة في الحياة.

يبدو الشاعر في هذه الصورة أنه يعاني صراعا داخليا يبحث له عن خلاص حتى يعيد التوازن لنفسه.

ونجد في موضع آخر ارتباط صورة اليوم بقضية الأخذ بالثأر في قوله:

ثم أحْضُرونا إذا ما حمر أعْيُنُنَا في كل يوم يزيل الهام مَذْكُورُ[1]

اشتعلت نار الأخذ بالثأر في قلب الشاعر وقومه، فأبدى ردة فعل عنيفة تنم عن روح ثائرة ورغبة جامحة في الثأر حتى يزيح عن نفسه الإحساس بالذنب والتقصير في حق المقتول، ودفع العار عن قبيلته واسترجاع حقه المسلوب.

إنه تعبير من إنسان فقد قيمته في المجتمع عن إرادة في استرجاع وتيرة الحياة السابقة والعودة إلى الحياة الطبيعية بعدما حرم الشاعر نفسه بموجب العرف من كل ملذات الحياة من شرب الخمرة والاقتراب إلى النساء، والاغتسال، والتطيب.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 75.

حول الشاعر قضية الثأر من قضية مقدسة ذات الاعتقاد الذي يزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقزق عند قبره تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت قضية ذاتية فنية تحمل معنى الوفاء، والكرامة، والقوة.

عكست صورة اليوم تجرد الشاعر ومنه الإنسان الجاهلي بصفة عامة من العفو والتسامح وحب السلام.

كما ربط خداش صورة اليوم بالقوة والشجاعة فقال:

ومن شعبى يوم لنا غير وابــطٍ ويومُ بني وَهْبٍ ويــوم بَنِي زحِــرْ[1]

جسدت صورة اليوم شجاعة الشاعر وإفتكاكه النصر بكل جدارة واستحقاق، فأحس أن هذا الزمن أصبح تحت قبضته يتحكم فيه كيفما شاء مما بعث فيه شعورا بالاعتزاز والافتخار.

ترددت كلمة يوم في شعر الحرب عند خداش سبعة عشرة مرة لتغطي المعيشة الحربية التي عاشتها القبائل العربية في الجاهلية.

جاءت صورة اليوم مواكبة للحالة النفسية للشاعر خلال حياته الحربية لتنقل كل لحظاتها بمنتهى العمق والدقة كاشفة الستار عن نفس قلقة مضطربة تصارع الحياة، فارتبطت بالشجاعة والقوة والعزة تارة وبالشر والقهر، والمكر والضعف والثأر تارة أخرى، حول خداش زمن اليوم من زمن واقعي إلى زمن فني أسقط عليه أحاسيسه فأمتعنا بأحلى الصور.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 48.

4- صور الأشهر الحرم:

اتخذت عرب الجاهلية من الأشهر الحرم هدنة لوقف القتال والاستراحة من زخم الحرب في موسم الحج والعمرة، أحاطها العرب بهالة من القداسة حتى " أنهم "لا يعدون في الأشهر الحرم على أحد، ولو لقي أحدهم قاتل أبيه أوأخيه، ولا يستاقون مالا إعظاما للأشهر الحرم"[1]، فهي زمن آمن يدع مجالا لتطهير النفوس من الضغائن والأحقاد.

"فإذا كان الحج في الشهر الذي يسمونه ذا الحجة خرج الناس إلى مراسمهم فيصيحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ(...) ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ويجتمعون في بطن السوق، وإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشرا، أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا بها ثماني ليال، أسواقهم قائمة، ويوم التورية آخر أسواقهم" [2].

لكن العرب لم تستطع التقيد بتلك المواثيق السليمة، فنقضوها واعتدوا على حرمة تلك الأشهر، فاستحلوا ما كان محرما من إشعال نار الحرب وسفك الدماء، عايش خداش تلك الأجواء، وبكل صدق وواقعية نقل لنا انطباعه عن تلك المواقف، ففي أيام الفجار الأول قال:

أُسَالِمُكُمْ حتى يَجُلْنَ عَلَيْكُم وأعْطِيكمُ إلاَّ حِجَـــارَةً تَصْلُبَا[3]

---

[1] – محمد بن عبد الله بن احمد الأرزقي، أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار، (تح) .عبد الملك عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، السعودية، ط1، 2004، ص 276.

[2] – المرجع نفسه ، ص280.

[3] – خداش بن زهير العامري، الديوان ، ص69.

عكست هذه الصورة حالة الشاعر وهو منتظرا انقضاء فترة السلم فأحس بالضيق من هذا الزمن الذي عرقل طموحه، فهو فارس ألف خوض الحروب، وشن الغارات فلم تفلح هذه الاستراحة في ترويض نفسيته بل العكس زادته حمية وتأججا، بدا الشاعر في هذه الصورة مجردا من كل الصفات الروحانية، فأحس بأن هذه الهدنة مفروضة عليه فرضا، حاول الشاعر أن يعيد التوازن لنفسه، فلم يجد له معاد لا يقضي به على هذا الإرغام سوى التأني والاستسلام لمشيئة هذا الزمن حتى ينقضي.

ووقف الزمن في صورة أخرى معرقلا لقوة الشاعر خامدا لشدته:

ياشـــدة ما شددنا غير كاذبة على سخِينـــةٍ لولا الليل والحَـــرَمُ [1]

كانت ذات الشاعر مندفعة متفائلة قبل هذا الزمن وبحلوله صارت قلقة مضطربة تعاني كبتا نفسيا وقهرا معنويا، فهومتأكد من أنه سيكسب الحرب.

عكست هذه الصورة إحساس الشاعر بالاعتراف في هذا الزمن فصار يبحث عن فروسيته التي انتهكت حرمتها، ولم يستطع الانفلات من ربقته، فأحس انه وقف في صف العدوفلم يمنحه الظروف المناسبة للفتك به فكان لابد له من التبعية والخضوع.

بعدما كانت الحرب قائمة بين الشاعر وعدوه انتقلت قائمة بين الشاعر والزمن، فتجاذب الشاعر في هذه اللحظة قوتان قوة ذاتية نفسية وقوة دينية ثقافية استطاعت أن ترجح إليها كفة النصر.

---

[1] – خداش بن زهير ، الديوان، ص93.

أحس الشاعر بالغلبة فأبدى سخطه على عدوه بني تيم الأردم الذي قدس هذا الزمن فهجاه قائلا:

أنتم مَجَاهيلُ حَــرَّامُون ثَاويكُمْ وفي الحـرُوبِ مَقَالِيــعُ عَــوَاويرُ[1]

عكست هذه الصورة حقد الشاعر وكرهه لعدوه الذي رفع أمامه راية الغدر واستمد حصانته من هذا الزمن، فرماه بالجبن والضعف لأنه طبق إرادته، وقد اعتمد صيغة المبالغة " حرامون" ليعبر أن عدوه بالغ في تقديس هذا الزمن تقديسا جاوز الحدود، إذ كان لا داعي لكل هذا التبجيل، رفض الشاعر لهذا الزمن هو رفض للسلام الذي يتعارض مع تكوينه النفسي لشخصيته المضطربة والقلقة والمشحونة بروح الحمية والاندفاع في سبيل إشباع أهواء النفس، وفي المقابل وقف الشاعر مفتخرا بنفسه.... الجماعة حين انتهك حرمة هذا الزمن، واستحل فيه المحرمات في اليوم الخامس من أيام الحريرة قائلا:

وقـد بلوتم فأبلــوكم بلاءهــم يوم الحريرة ضربا غير مكذوب

إلى أن يقــول:

وإن ورقاء قد أردى أردى أبا كنف وابني إيــاس وعمرا وابن أيـوب

وان عثمـــان قــد أردى ثمـــانية منكم وانتـم على خبر وتجــريب

إلى أن يقــول:

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص70.

فالآن أن تقبلـــوا نأخذ نحوركم وإن تـباهوا فـإني غير مغلوب[1]

رسم الشاعر منظرا فيه اعتداء وغطرسة وسفك للدماء وقتل بوحشية دون رحمة أو إنسانية.

نقل خداش صورة صادقة عن تلك اللحظات التي تجرد فيها عن إنسانيته فلم يشعر بتأنيب الضمير بل على العكس أحس بعزة نفس حيال هذا العمل الشنيع والحرم الفضيع الذي اقترفه مفتخرا بقوته التي رآها في حد سيفه.

لم يعر الشاعر أي اهتمام لحرمة هذا الزمن، بل استجاب لرغبة قبيلته في تأجيج نار الحرب دون إعمال العقل والنظر في أسبابها الموضوعية مندفعا وراء حميته في سد النعرات القبلية، ورد الصاع صاعين.

ورسم صـورة أخـرى حين وقف يتذكر أيـام الفجار قائلا:

فلا تَوْعِدَنِّي بالفِجار فـإنَّه أحَلَّ ببطحاءِ الحَجُونِ المحارِمَا[2]

في هذه الوقفة يبدو الشاعر في وسط أجواء روحانية مليئة بالخوف والرهبة وفي اتصال روحي بعالم السماء ليكفر عن ذنبه ويفرغ تلك الطاقة السلبية المشحونة بالحسرة والندم حيال انتهاك حرمة تلك الأشهر.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 60.

[2] – الديوان، ص 99.

وفي صورة أبدى فيها خداش تذمره من انتهاك حرمة هذا الزمن وبقي يراقب الحرب من بعيد، ولم تكن له قبيلته ممن لها يد في ذلك قائلا:

إذا ما أصاب الغيث لم يرع غيثهم من الناس إلا محرم أومكافل[1]

فعكست صورة الإنسان الهادئ الطباع ذو السلوك السوي، المطمئن النفس الملتزم بمناسك روحانية فيها أجواء من القداسة والهيبة ترفع مكانة تلك الأشهر الحرم، وأحس أن من نقض تلك المعاهدة إنما هو خرق لقوانين مقدسة تجعل الرب لا يرض، فلا يؤتى حربه.

فوقف مفتخرا بنفسه حين التزم ذلك المبدأ الرباني الذي يفرض لجم أوزار الحرب في الأشهر الحرم قائلا:

الشـــاتميِّ ولم احْـلُلْ حـــرَامَهما إني كـذالك لَقَّـاءُ الأعَـــاجِيبِ[2]

سما الشاعر بهذا الزمن وعظم من قيمته، فالتزم حدوده وأخذ بشريعته عن طيب خاطر ونفس راضية معتزا بنفسه في ذلك ليكشف عن ذات رزينة متحلية بروح التريث مجردا من روح العصبية والتسرع إلى الأخذ بالثأر، متحكما في انفعالاته أحس من وراء هذه الصفات أنه بطل خارق جعل من إرساء دعائم السلام قضية مقدسة.

حول خداش صورة هذا الزمن من زمن واقعي إلى زمن فني، فمن نداء العاطفة إلى نداء العقل إلى التأمل حتى الكشف عن موقع الذات من هذا الزمن، ليجد أنهما كالروح للجسد

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان ص 89.

[2] – الديوان ، ص 61.

لا يستطيع أحدهما الانفصال عن الآخر، فاسحا المجال لطموحه بأن تطفو على سطح مكنوناته ليكشف عن ثقافة مليئة بالنماذج والمثل العليا.

كشفت صورة الأشهر الحرم عند خداش عن عدم وجود رابطة دينية روحية بين عرب الجاهلية، عكست هذه الصورة افتقاد المجتمع الجاهلي إلى سلطة عليا تطبق قوانين ردعية، فالمظلوم هو الذي يصنع قانون الأخذ بالثأر بيديه ويطبقه كيفما شاء فطغت عليه التفرقة والبغضاء.

رغم الطابع العدواني المتأصل في روح الإنسان العربي إلا أن هذا لا يعني أنه مجردا من الخصال الحميدة التي توقظ فيه صوت الحكمة والتعقل ونشر الخير بين الإنسانية.

إن حضور الزمن في شعر الحرب عند خداش كان مكثفا تجلى في صور متباينة كالطلل، الليل، اليوم، الأشهر الحرم... كشفت عن الظروف البيئية والاجتماعية والثقافية والأحوال النفسية التي عاشها خداش كفارس شهد حروب الفجار وخاض أهوالها.

إذا كانت نفس العربي جبلت على تمجيد ذاتها بالشجاعة والافتخار بالبطولة والفروسية بهدف إبراز قوتها وتفوقها تلبية لرغبة قبيلتها وتحقيق لمثلها العليا، هذا لأن الحرب جزء لا يتجزأ من كيانها وضرورة من ضروريات حياتها، فان فلسفة خداش للزمن ترددت على هذا النحو أي بحسب طبيعة علاقته بالآخر على مستوى القوة والضعف بين الرفض والقبول تارة، وتارة أخرى بحسب طبيعته الإنسانية التي تبرز دوره كشاعر في إرساء قواعد السلام وإخماد نار الحرب التي أتت على الأخضر واليابس، فحول هذه الزمن من زمن ثقافي إلى زمن فني

ذاتي يناضل من اجل قضية سامية تناقض الأعراف، وتكافح التقاليد البالية التي طائل منها لبناء مجتمع راق يحتكم إلى قوة العقل لا إلى قوة العاطفة وإرساء دعائم العفو والتسامح وبهذا يكون خداش رسول سلام بلغ رسالة سماوية مقدسة.

رابعاً- صورة المكـــان والحرب:

لقد كان المكان جزءا لا يتجزأ من كيان الشاعر الجاهلي، فتعلقه به وارتباطه به جعل حضوره قويا في أشعاره، فهوليس مجرد مساحة جغرافية بل هو فضاء يعج بالذكريات، فيبسط نفوذه على خيال الشاعر فيخرجه عن طبيعته المادية إلى رسومات للوحات فنية موحية "فمن مسكن خرب إلى طلل مثير، ومن حجر أصم إلى شاهد على لحظات مجد أووجد، وقد تكتسب بعض الأماكن شاعرية تكاد تلازمها كالقمر والبحيرة والغابة وغيرها، وقد يظل "سقط اللوى وحومل..." غيرها من الأماكن التي اشتهرت في الشعر العربي ألفاظا تحمل من الدلالات الشعرية أضعاف ما تحمل من الدلالات الجغرافية". [1]

1- صورة الطـلل:

إن مرور الشاعر الجاهلي على الوقفة الطللية ليس سنة فنية فحسب، وإنما هو تجسيد لتجربة الشاعر الشخصية التي ستمتد جذورها إلى لب القصيدة، فعن طريق التداعي الحر للذكريات الماضية يغذي انفعاله الأتي لحظة إبداعه للوصول إلى غرضه الرئيسي فيسعى

[1] – احمد درويش، في نقد الشعر " الكلمة والمجهر"، دار الشروق، ط1، 1995، ص84.

إلى " خلق جو شعوري يمهد له الطريق للوصول إليه وتحقيق مبتغاة في الآخر... الذي ربما سيتمكن الشاعر من التأثير في مشاعره وقيادته بطريقة ذكية " [1]

لم يكن حضور الطلل في شعر خداش حاظر بقوة إلا أنه جسد صورة الحرب أحسن تجسيد من خلال رسمه صورة حسية لطلله الخرب فقال:

أمِنْ رَسْمِ أطلَال بتوضِحَ كالسَّطْرِ فما شِنَ من شَعْر فرابيَة الجَفْـرِ

إلى النخل فالعرجين حول سويقة تأنس في الأدم الجوازيء والعُفـر [2]

إن عودة الشاعر إلى تلك الأماكن والوقوف عندها وتذكرها بأسمائها مكانا وموقعا موقعا لاشك وان ارتباطا عميقا يجذبه إليها، فأثارت فيه توترا وانفعالا، فتلك الأطلال التي لعب بها يد الزمن وحولها إلى بقايا خربة منقوشة كالسطر بعثت فيه هاجس إغارة عدوه عليه، والاستفهام " امن " إنكاري وكأنه أراد من ذلك " أبقى مكتوف الأيدي إلى أن تصبح الديار خرابا كهذا الطلل، لكن سرعان ما تجاوز هذا الإحساس حين التفت إلى صورة الضباء التي ترعى حول مسايل الماء فبعث فيه إحساسا بالهدوء والسلام والاطمئنان، فأحس براحة نفسية، ومجددا تعود صورة الطلل فتثير فيه انفعالا وخوفا شديدا من العدوالذي قد يباغته في أية لحظة مجسدة في كلمة " قفارا" التي بدا فيها الطلل فاقدا لكل مظاهر الحياة، وبالتفاته إلى المكان الموجود بين الأسلة والصخر والذي حلت فيه أم رافع ترعى جمالها.

---

[1] – ريم هلال، حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص200.

[2] – خداش بن زهير ، الديوان، ص77.

قفـــــار وقد ترعى بها أم رافع مَذَانِبَـهــا بين الأَسِلَّـــة والصخـر

وإذ هي خَــوْد كالوذيـــلة بادِنٌ أسِيلة مايَبْدومن الجَيْبِ والنَّحْرِ[1]

يتواصل شعور الشاعر بالاطمئنان الذي يبعثه فيه جمال حبيبته أم رافع فيشبهها بمغزلة تطارد غزالا شديدا وقويا له صوت ضئيل متوسط العمر، وهويدعوها من أماكن مرتفعة لتتوالى لحظات السلام تنتاب قلب الشاعر حتى إذا اشتد القيض في هذا المكان ذكره مشهد أم رافع وهي تبدو إمرأة صامدة قوية تتقي أشعة الشمس بأطراف الأراك والسدر.

كمغـزلةٍ تــغــدو بِحَـوْمـل شَـــادِنًـا ضئيلَ البُغَامِ غـير طِفلٍ ولا جــأرِ

طـــباها من الـــنانات أوصــهـواتها مدافعُ جـــوفًا فالنـواصِفِ فالمَـترِ

إذا الشمس كانت رتوة من حجابها تقتــها بأطـراف الأراك وبالـــسَّدْرِ[2]

بقوته وشدة تحمله اشتداد الحر وكيف كان يتقي أسهم عدوه بكل شجاعة وبأس، وهذا المشهد بعث فيه إحساسا بالقوة والرغبة في المبادرة بالإغارة، فعاد الأمل إلى قلبه وتدفق بالحياة ليصل اطمئنانه إلى ذروته عززه بصورة المرأة والشمس فابتهجت نفسه وتفاءل بالنصر فشد الرحال إلى الغزو.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص77.

[2] – الديوان، ص 78.

تفاعل خداش مع طلله الذي بدا مقفرا لا حياة فيه فحوله من مكان ميت إلى لوحة فنية تحمل صورا متجانسة تنبض بالحياة أسقط عليها أحاسيسه، فاستدرجها شيئا فشيئا إلى غرضه الرئيسي، فنجح في قيادتها إلى الأفضل.

2- صـــورة الجـــبل:

خطفت الجبال أنظار الشعراء الجاهليين، وشغلت فكرهم حتى استثارت خيالهم فتحولت إلى مصدر الهام أثارت قرائحهم، وتدفقت طاقاتهم الإبداعية، فوظفوها في وقوفهم على الأطلال وفي رحلاتهم، وفي وصف غزواتهم وحروبهم، وفي افتخارهم بمجدهم وعزهم و ... فوظفوها توظيفات متعددة، فكانت رمزا للحكمة، الصمود والخلود، و....

والجبل رفيق خداش في حياته الحربية، فكان أرضا خصبة ترعرع فيها فنه، فجاد بأروع الصور.

وفي إحدى صوره التي استحضر فيها الجبل قـــال:

طَبَاهَا من النَّانَات أو صهواتها مدافع جوفا فالنواصفِ فالمـترِ[1]

ربط الجبل بين واقع الشاعر الجغرافي وواقعه النفسي، فاستحضار صورة المكان المرتفع تذكره بالغارة، فعبر عن حاجة نفسية عكست رغبته الملحة في القيام بعملية الغزو والتي شعر أن أوانها قد حان.

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 78.

أن شعور الشاعر بالانجذاب نحو هذا المكان منبثق من وراء إحساسه بأن عوده استوى، فصار مؤهلا وأهلا لتلك المهمة الصعبة فذكر هذا المكان خفف الشاعر من تلك القوة الضاغطة على مشاعره فأحس براحة نفسية.

وعبر في صورة أخـــرى قائلا:

بتجهيزي المقـــانب كلُّ عامٍ وغَـــاراتِي على جَبَـــلَيْ زَرُودا[1]

تحولت صورة الجبل عند خداش من بعد جغرافي واقعي يدل على مكان الغارة إلى بعد فني نفسي، فلا شك أن الشاعر فتك بعدوه وحقق انتصارا عظيما في هذين الجبلين، فذكرهما يشعرانه بالمجد والعز والافتخار وهوشاهد على بطولاته.

ورسم الشاعر أيضا صورة رائعة لجبل مغطى بفرسان قومه حتى أنه لا يظهر من ورائهم فقال:

دُروعٌ وغَابٌ لاَ يُرَى من ورائِه سنا أُفُـــقٍ بادٍ ولا جبلٍ وعرِ[2]

عكست هذه الصورة انبهار الذات ومن ورائها النفس الجمعي بشخصيتها، فبدا الشاعر مفتخرا معتزا متباهيا بكثرة جيوش قومه، فبدا عددا هائلا لا يضاهي.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان ، ص 45.

[2] – الديوان، ص 48.

إنه إحساس بالقوة والعظمة فيبدوا الجبل عال القمة ذو مسالك وعرة مما يجعل الارتقاء إليه أمرا هينا، يحصل بشق الأنفس فلا يؤتى إلا للفرسان الأقوياء ولا يناله إلا الأبطال الشجعان الذين لهم دراية وخبرة حربية.

وفي تشبيهه جيش قومه بجبل اسود يركب بعضه بعضا قـــال:

دَهَمْنَـــاهُمْ بِأَرْعَن مُكْفَهِـــرّ فَظَـــلَّ لنا بِعَقْـــوَتِهِمْ زَئـــيرُ[1]

يسعى الشاعر الجاهلي إلى بلوغ المثالية في صوره، فجعل خداش من جيش قومه جيشا أسطوريا أسقط عليه سمات الاتساع والإقدام والشجاعة والصمود في وجه العدو دون تخاذل والاستمرار في القتال حتى افتكاك النصر فبدا حليفا مساندا للشاعر بث فيه روح القوة والعظمة.

ووصف خداش صورة لفرسان عدوه الذين فروا وتفرقوا مختبئين في الأماكن العاليـة قائلا:

إذْ هُمْ شعَارِيرُ بِالأشراف تَبْطَحُهُمْ زُرْقُ الأسِنَّة والبِيضُ المبَاتِيرُ[2]

اتخذ العدوو من الجيل ملجأ للاختباء والاحتماء من بطش الشاعر مما بعض في نفس الشاعر شعورا بالعلو والارتقاء والغلبة.

---

[1] –خداش بن زهير، الديوان، ص 65.

[2] – الديوان، ص 71.

غطت صورة الجبل في شعر الحرب عند خداش جزءا لا بأس به من الحيز المكاني الفني، فأبدع في رسم أجمل الصور التي وافقت حالته النفسية وطاوعت واقعه الحربي، وسايرت أحداثه فكان رمزا للافتخار بالمجد والعز والقوة والصمود والشجاعة والعلووالارتقاء.

3 – صورة الحرم المكي:

لقد كان العرب في جاهليتهم وثنيين يعبدون الأصنام، فبعد طول الزمن على ديانة إبراهيم التوحيدية عادت قوية لتتخذ أشكالا جديدة وعاد الغموض يكتنف قضية المصير والوجود [1].

قدم الجاهليون القرابين للأصنام ضنا منهم أنها تقربهم إلى الله، فلم يقتصر تقديسهم على الأصنام بل امتد إلى البيوت، وكانت مكة من بين تلك البيوت المقدسة، فقداستها ضاربة في جذور التاريخ منذ عهد إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فجعلوا يحجون إليها فقدسوا الأماكن القريبة منها وجعلوها بلدا آمنا لا يجرأ احد على انتهاك حرمت [2]، إلا أن عرب الجاهلية لم تلتزم تلك المعاهدة فانتهكت حرمة تلك الأماكن بعدما " قتل البراض بن قيس الكناني عروة بن عتبة بن جعفر بن عامر بن صعصعة [3]، فقامت حروب في تلك الأماكن بين قريش وقيس، فسميت بذلك حروب الفجار لان الناس فجروا فيها.

---

[1] – ينظر رباح علي، البحث عن الذات في الشعر الجاهلي، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2012، 2013، ص13.

[2] – ينظر المرجع نفسه، ص21–22–23.

[3] – خداش بن زهير، الديوان ، ص،8–9.

ورصد لنا خداشا صورا لتلك الأماكن التي انتهكت حرمتها وضربت قداستها عرض الحائط.

ففي يوم نخلة ونخلة مكان قبيل الحرم تقاتل القومان قتالا يسيرا حتى جاء الليل ودخلت قريش الحرم فأمسكت هوزان عنهم ونادوهم ميعاد ما بيننا العام المقبل، فأنشد خداش قائلا:

يا شِـــدَّةَ ماشَدَدْنَا غيرَ كاذبةٍ على سَخِينَـــة لولا اللَيَّـــلُ والحرمِ[1]

في اللحظة التي شعر فيها الشاعر بالقوة بدا المكان بامتداده الجغرافي يقف عائقا أمامه، فتمنى الشاعر في هذه اللحظة لوأن هذا المكان ينزاح أمامه لتتحقق رغبته في الأخذ بثأره من عدوه إلا انه حال دون ذلك فشكل حصنا منيعا ودرعا واقيا له، فصار حليفا وصديقا حميما له.

أحس الشاعر أن هذا المكان حقق معجزة، فأظهر الاستسلام أمام مشيئته وبدا ضعيفا أمامه، فاكسب المكان في هذه اللحظة هيئة أبعدته عن هيئته الحقيقية وكشفت عن الحالة الوجدانية للشاعر إذ بث فيه روحا وحوله إلى مكان أسطوري خارق يحقق المعجزات.

رغم أن المكان وقف في وجه الشاعر إلا أنه مستريح النفس يملك من الإيمان ما يجعله يحترم قدسيته فيحجم عن القتال.

إن في احترام الشاعر لقداسة هذا المكان تمسك بمبادئ السلام، ووقف خداش مفتخرا بذلك حين تلقيه خبر مقتل عروة.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص93.

إني أناني عن ابْنَيْ مَعْمَرٍ خَبَرٌ إما كذَّبْتُ وإما غير مـكذوبِ

الشَّـــاتِمِيّ ولمْ احْلُلْ حَرَامَهُمَـــا إنيِّ كـــذلك لقَّـاء الأعـــاجيبِ[1]

يبدو الشاعر في هذه اللحظة متوازنا منضبط النفس غير متسرع، متزن ورزين، يبدي احتراما لتلك الأماكن المقدسة، متعجبا ممن انتهك حرمتها، أظهر عاطفة جياشة ملؤها التعالي عن ممارسة هذا الفعل المشين.

وفي يوم الحريرة، و" الحـريرة موضع بين الإيواء ومكة قرب نخلة، وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعات الفجار " قـال:

وقد بَلَـــوْتُمْ فأبْلَوْكُم بلاَءَهُمُ يوم الحـــــريرة ضَرْبًا غيرُ مَكْذُوبِ[2]

رسم الشاعر صورة للمكان المقدس الذي انتهكت حرمته فأريـقت فيه الدماء وارتكبت المعاصي.

لم يتألم الشاعر ولم يحزن من الفعل الشنيع الذي لحق بالمكان بل على العكس أحس براحة نفسية وأبدى تشفيا من الرد على العدوبفعل أكثر قسوة.

امتزجت ذات الشاعر بالأخر فكشفت عن أحقاد واضعان جسدت روح العصبية القبلية، فلم يستطع المكان المقدس أن يجد من ظاهرة الأخذ بالثأر وشفاء الغليل.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان ، ص61.

[2] – الديوان ، ص60.

ونفس الصورة يرسمها خداش لسوق عكاظ التي كانت سوقا تجارية وأدبية أحاطها الجاهليون بهالة من القداسة حتى أن الرجل إذا التقى قاتل أبيه أو أخيه لا يعترضه، فانتهكت حرمتها فظهر ذلك جليا في قول خداش:

ألـــمْ يَبْلُـــغْـــكَ أنَّـــا جَدَعْنَـــا لدى العبلاءِ خِنْدِف بالقِيَـــادِ

ضـــرَبْنَاهُمْ بِبَطْن عُكَـــاظَ حتَّى تَوَلَّو ضالـــعِينَ من النـــجَادِ[1]

عكست هذه الصورة إحساس الشاعر بالقوة والتجبر –ومن ورائه قومه– فالمكان المقدس لم يقف لم أمام جبروت، فبعثر بحرمته، ولم يولي أي اهتمام للمنكر الذي أتاه في سبيل إشباع حاجاته النفسية، فخمد فيه صوت الضمير، وانعدمت منه صفة الإنسانية.

وها هو يجسد صورة للعبلاء وهي " اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ " [2] قائـــلا:

ألـــم يبلغك بالعَبْـــلاءِ أنَّا ضـربنا خِنْدِفًا حتى اسْتَقَاموا

نُبَـــنِّ بالمنازل عِزَّ قَيْسٍ ودُّوا لوتَسِيـخُ بِنَـــا البِـــلاَدْ [3]

شعر الشاعر بالقوة والسيطرة فوق هذا المكان ولم يشعر بجو من الروحانية أو أية رهبة تستدعي الانضباط والتقيد بقوانين وجوده على هذه الأرض وشبح الجرم يسري في دمائه فأراق الدماء بلا حساب.

---

[1]– خداش بن زهير، الديوان ،ص 64 .

[2] – الديوان ، ص63.

[3] – الديوان ، ص63.

انعكست اللحظة النفسية على المكان، فعدل عن واقعيته وفقد هيئته الحقيقية فاكتسب صفات جديدة استقاها من جو الحرب ليتحول من مكان مقدس إلى مجرد مساحة جغرافية جرت عليها أحداث الحرب.

وفي وقفة إسترجاعية لأحداث مؤلمة وقعت في جبل المجون بمكة ترجمها إلى بيت شعري يقول:

فلا تـوْعِدَنِّي بالفِجَارِ فإنَّـــه أحلّ ببطحـــاءِ الحجُونِ المحـــارِمَا[1]

تشكلت صورة هذا المكان عند خداش ممتزجة بالإحساس المقدس والعاطفة الإيمانية في لوحة فنية مجسدة فضاءا دينيا له قيمة شعائرية روحية.

حلق خيال الشاعر إلى هذا المكان وحرك وجدانه فكشف كوامن ذاته وعبر عن دلالات عميقة حاملة معنى الحسرة والندم الذي سيطر على نفسيته المتألمة من جراء مارتكبته من تجاوزات في حق هذا المكان.

إن في إقرار الشاعر بالعمل الشنيع الذي ارتكبه والبوح بمكنوناته ذاته هي بمثابة عملية بحث عن منفذ لتفريغ هذا القلق والتخلص من الاحتقانات النفسية التي أرهقته، فتسربها أشعرته باطمئنان أحدث فيه اعتدالا نفسيا.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص99.

الحرم المكي هو الإقليم الجغرافي الذي احتوى حروب الفجار أسقط عليه خداش ظلاله النفسية فجسد واقعه الحربي فيظهر أحيانا في صورة مكان مقدس انتهكت حرمته وأحيانا أخرى مجرد ساحة للمعركة.

كشف هذا التناقض عن اختلال في التوازن الاجتماعي الذي غذته روح العصبية القبلية، وعن فراغ روحي في نفس قلقة مضطربة تبحث عن ذاتها، مفتقدة لمنهج حياتي يربط بين العالم الأرضي والعالم السماوي.

لم نرصد جميع الأمكنة التي التقط خداش صورها لتمرير تجربته الشعرية بسبب كثافة حضورها، وقد مسح الحرم المكي الجزء الأكبر منها كونه المسرح الرئيسي لأحداث حروب الفجار التي أفرغ فيها خداش معظم طاقته الشعرية.

أسقط خداش أحاسيسه على تلك الأماكن فتجاوزت وعيه ومساحتها الجغرافية المجردة إلى اكتساب دلالة ذاتية عمقت شعوره بالانتماء، فكانت مرآة عاكسة لذاته كشفت عن هويته وعن طبيعة الحياة الجاهلية التي عاشها الشاعر في شبه الجزيرة العربية.

لقد كان للطبيعة الصحراوية القاسية أثرها الواضح في تكوينه النفسي والاجتماعي والثقافي، فكشفت عن طبيعة العلاقة بين الشاعر وبين مكوناتها الصحراوية، فاستمد منها عناصر بقائه كالشجاعة والقوة والتحدي.

أسماء الأماكن عند خداش كانت واقعية، فلم يهتم بالتفاصيل والأبعاد، فالمعاني تتداعى بمجرد ذكر المكان لذا جاءت صوره مقتضبة لم تشغل مساحة كبيرة.

الفصل الثاني: المقومات الفنية في شعر الحرب عند خداش بن زهير:

أولا – التشكيل البلاغي:

1 – التشبيه

2 – الاستعارة

3 – الكناية

ثانيا– البناء الفني للقصيدة في شعر الحرب عند خداش:

1– القصائد ذات المقدمات

2– القصائد القصيرة المباشرة

3– المقطوعات والنتف

للشعر العربي القديم أسسا فنية قام عليها ساهمت في إبراز جماليته ورونقه، حتى أنها أصبحت من العناصر النمطية التي اعتمدها الشعراء في أشعارهم، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى نوعين من هذه العناصر الفنية التي جاءت في المدونة، وذلك من خلال ضروب البيان المختلفة التي تعد الركيزة الأولى في الشعر، لننتقل بعدها لدراسة الشكل الفني للقصيدة عند خداش.

وبداية دراستنا ستكون مع أبرز الصور البلاغية التي جاءت في شعر الحرب عند خداش، والمتمثلة في كل من التشبيه والاستعارة والكناية للتعبير عن مواقفه وآرائه وأحواله النفسية ورؤاه الجاهلية لصورة الحرب، وذلك بشكل غير مباشر للفت انتباه المتلقي وإمتاعه، وكذلك من أجل إبراز قدراته الإبداعية والفنية وكذلك قوة خياله.

أما الجزء الثاني من هذا الفصل تمحور حول البناء الفني للقصيدة عند خداش في وصفه لحرب الفجار على طول أيامها، وبما أن الشاعر ابن بيئته فقد جاء شعره في بناءه ومعانيه وأغراضه نقلا مباشرا لتلك الحياة الحربية.

أولا: التشكيل البلاغي:

1- التشبيه:

أ-لغة:

جاء في العين "للخليل": "الشبه ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصْفرُّ، وسمي شبها لأنه شبِّه بالذهب، وفي فلان شَبهٌ من فلان هو شبهه وشِبهه أي يشبهه". [1]

ونجد هذا المعنى أيضا في القاموس المحيط: "الشبه: ج أشباه، وشابهه وأشبهه: ماثله، وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا". [2]

كما ورد هذا المعنى في العديد من المواضع في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿هُو ٓ ٓالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتُ﴾ [3] أي أنها تشبه بعضها البعض، وقوله أيضا: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [4].

من خلال المعاني السابقة نصل إلى أن التشبيه هوالتمثيل، والاشتباه يعني الإشكال والالتباس.

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 2، مصدر سابق، ص 304.

[2] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص 1247.

[3] – سورة آل عمران، الآية 7.

[4] – سورة النساء، الآية 157.

ب – اصطلاحا: .

التشبيه هو" الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الأخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أولم ينب وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه "[1]، أي التشبيه حسبه يكون بأداة أوبدونها.

أما الجرجاني فيعرف التشبيه بقوله:" اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالأخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أنه يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأول، والآخر أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول "[2]، أي أن التشبيه نوعان الأول يكون سهل وبسيط لا يحتاج إلى التخمين والآخر يحتاج لشيء من التفكير ومن ثم الاستنتاج.

وعرفه صاحب " علم البيان " بقوله:" بيان أن شيئا أوأشياء شاركت غيرها في صفة أوأكثر، بأداة هي الكاف أونحوها ملفوظة أومقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه "[3]، ومن خلال هذا التعريف نصل إلى أن للتشبيه أربعة أركان وهي:

– المشبه – المشبه به

– أداة التشبيه – وجه الشبه

---

[1] – أبوهلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، (تح) علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، د.ب، 1952، ص 239.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ص 81.82.

[3] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، د.ط، بيروت، لبنان، 1985، ص 62.

ولقد ظهر التشبيه في جملة من الأغراض الشعرية عند خداش ففي إطار الفخر برهطه يقول:

تَرَكنَا عَامِرِيَهِمُ مثل عَادٍ ومُرَّة أَهْلِكُوإِلَّا الشَّرِيدَا[1]

فهو هنا يشبه عدوه بقوم عاد ليشير في ذلك إلى هلاكهم، أما ما جاء في المدح فيقول:

ومن قائل لايفضل الناس حلمه إذا ما اجتمع الأقوام كالقمر البدر[2]

فهنا يشبه ممدوحه بالقمر، للإشارة إلى مكانته ودوره في القبيلة وذلك بذكره لأداة التشبيه (الكاف) في قوله (كالقمر البدر)، وفي وصفه لطعنة أحد المقاتلين يقول:

يَخَالِسُ الخَيْلَ طَعْنَا وهِيَّ مُحْضَرَةٌ كأنما سَاعِدَاه سَاعِدا ذِيبِ[3]

فالشاعر في هذا البيت يشبه يد المحارب بيد الذئب في توجيهه الطعنة للعدو دلالة على مخاتلته ومكره وخفة يده، ويضيف قائلا في وصف الطعنة:

وَطَعْنَةِ خَلسٍ كَفَرْغِ* الإِزَاءِ أُفْرِغَ فِي مَثْعَب الحَائِرِ[4]

يشبه هنا خلسة الطعنة بمصب الماء من الدلو وفي ذلك تصوير للدم كيف يتساقط من الجرح دلالة على قوة الطعنة وعمقها.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 45.

[2] – الديوان، ص 47.

[3] – الديوان، ص 82 .

* – الفرغ: مصب الماء من الدلو، الديوان ص 82 .

[4]– الديوان، ص82.

أما جاء في مدحه لقريش فقد كان لإبراز قوتهم في يوم الفجار فقال:

جَثَتْ دُونَهُمُ بِكْرٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْهُمُ كَأَنَّهُمْ بِالمَشْرَفِيَّةُ سَامِرُ [1]

فالشاعر في حديثه عن كثرة قريش في هذا اليوم يشبه لمعان سيوفهم في أرض المعركة بضوء النجوم ليلا، وبعد إنصافه لعدوه في هذا البيت الشعري، ينتقل إلى هجائه في موضوع آخر يقول:

كَأَنَّكُمْ نَبْطِيَّاتٌ بِمَزْرَعَةٍ قُشْرُ الأَنوفِ دَرَادِيرُ مَآدِيرُ [2]

في هذا البيت يشبه عدوه بالحيوانات الهرمة والضعيفة التي لا تفيد في شيء وذلك للإشارة إلى فتورهم وعدم قدرتهم على مواصلة القتال واستسلامهم، أما في وصفه للمقاتلين على أرض المعركة يلجأ إلى تشبيه طعناتهم للعدو بالمنشار في قطعه للخشب، يقول:

يَجحدُونَ أَقْرَانَهُم فِي كُلِّ مُعتَرَكٍ طَعْنًا وَضَرْبًا كَشَقٍ بِالمَنَاشِيرِ [3]

لينتقل بعدها إلى وصف النوق فيقول:

كَلَّا وَرَبِ القِلَاصِ الرَّاقِصَاتِ بنَا عَشِيَّةَ النَّفْرِ أَمْثَالَ القَرَاقِيرِ [4]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 69.

[2] – الديوان، ص 71.

[3] – الديوان، ص 76.

[4] – الديوان، ص 76.

إذ يشبه النوق بالجارية من النساء في قوله (الراقصات)، فهو يصور لنا حركتها في الميدان مشيرا إلى ضخامتها وقوتها ليشبهها بالقراقير وهي السفينة الطويلة، وما كان في حديثه في يوم نخلة فهوأغلبه هجاء للعدو فيقول:

ثُمَّ ارْجِعُوا فَأَكِبُّوفِي بُيُوتِكُم كَمَا أَكَبَّ عَلَى ذِي بِطْنَهُ الهِرِمُ[1]

فهو هنا يوجه حديثه إلى جيش العدو وينصحهم بالتراجع عن القتال والعودة إلى أراضيهم إلى أكل الذرية والعيال كما يفعل الضب الهرم، لينتقل بعدها إلى وصف الإبل عند عودتهم ويشبه قوتها بالنار فيقول:

وَلَّتْ بِهِم كُلُّ مِحْضَارٍ مُلَمْلَمَةٌ كَأَنَّهَا لِقُوَّةُ يَحْتَثُّهَا ضَرَمُ[2]

هذا بعض ما وظفه خداش في التشبيه، وهناك تشبيه آخر تجسد في الصور الاستعارية.

2- الاستعـــارة:

تعتبر الاستعارة من أهم الصور البيانية في العمل الأدبي لما لها من وظائف تبرز المعنى وتزيده قيمة جمالية، فقد أقر أرسطوبأنها " أعظم الأساليب وآية الموهبة الطبيعية في الشعر " [3] وتعد من " أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 94.

[2] – الديوان، ص 95.

[3] جابر عصفور، مرجع سابق، ص208.

منها، وهي محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها [1] وهي قوام الشعر، ولهذا أولاها الشعراء الجاهليون أهمية كبيرة.

فالاستعارة **لغة** " ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين كقولك: " لقيت أسدا " وأنت تعني به الرجل الشجاع ". [2]

وإما الاستعارة في **الاصطلاح** فهي " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تصفح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه، فتعيره المشبه وتجريه عليه تريد أن تقول: رأيت رجلا هوكالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك فتقول: رأيت أسدا ".[3]

وبهذا تكون الاستعارة قد حشدت معاني كثيرة بألفاظ قليلة باستعمال العبارة في غير ما وضعت في أصل اللغة، فتجعل إدراك المتلقي يقظا وذهنه حاضرا، فيتجاوب مع تصور الشاعر الذي اظهر ملكته الإبداعية وقدرته الشعرية.

وبما أن شاعرنا فارس مغوار يخوض أهوال الحروب بين لحظة وأخرى فرضت عليه طبيعة حياته الميل إلى التلميح والإشارة، وشعره الذي قاله في شعر الحرب جاء زاخرا بهذا النوع من التصوير.

ففي أحد أيام حروب الفجار وقف مسجلا أحداث القتال واصفا نيله من عدوه قائلا:

---

[1] ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ت محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة،، ط1، ج1، مصر 1985، ص180.

[2] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، مصر،، ص20.

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسـرار البلاغة، محمود شاكر، دار المدني، السعودية، ط1، 1991، ص67.

بين الآراك والـــمرْجِ تَبْطحُهم زُرْق الأسِنَّةِ في أطـرَافِها السَّهْمُ [1]

فالشاعر شبه السنان بكائن قادر على الحركة، يلقي العدو على وجهه ويطرحه أرضا، فحذف المشبه وأبقى على لازمة من لوازمه "تبطحهم" على سبيل الاستعارة المكنية.

وهاهو يوم شمظة يفتخر بانتصار قبيلته على عدوه في قوله:

يأنَّا يـوم شمـظـة قد أقمـنا عمـودَ المَجْـدِ انَّ له عَمُـــودَا[2]

حيث شبه المجد وهوشيء معنوي بشيء مادي له عمود "البيت مثلا" فحذف المشبه به، وأبقى على قرينة حلت عليه "عمود" والاستعارة مكنية.

وأما في يوم الفجار الثاني انهزمت كنانة أمام قوم الشاعر، فوقف خداش موقف البطل متباهيا بنفسه وبشجاعته وإقدامه في الحرب قائلا:

أنا الـحامي الذَّمارُ وليثُ غابٍ أَشُبُّ الحرْبَ أُشْعِلُـهَا وَقُـودَا[3]

إذ شبه الحرب بنار تضطرم، فحذف المشبه به "النار" وأبقى على شيء من لوازمه "أشب"، والاستعارة مكنية.

كما صور يوم شمظة قوة جنود قبيلته وإقـدامهم على القتال قائلا:

جلبنا الخـيل سَاهِمَةً إليهـم عَـوابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْدَ قُـودا[4]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص94.

[2] – الديوان ، ص44.

[3] – الديوان، ص45.

[4] – الديوان، ص44.

فشبه الخيل بإنسان، أسقط عليها صفة العبوس وشدة الغيض فحذف المشبه به "الإنسان" وأبقى على قرينة تدل عليه "عوابس" فكانت استعارة مكنية

وفي افتخاره أيضا في موضع آخر بشدة خيله وبأسها قال:

وإنَّا إذا ما الخيلُ أدرك رَبْضَها لبسنا لها جُلُودَ الأسَاوِدِ النُّمْرِ [1]

فشبه الجلد بثوب أعطى له صفة اللبس، فحذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه "لبسنا" والاستعارة مكنية.

ولما افتخر بقوة جيش قومه، وكثرة عددهم قال:

دَهَمْنَاهُمْ بأرْعَن مُكْفَهِرٍّ فظل لنا بعَقْوتِهِمِ زئيرُ [2]

فشبه جيشهم في كثرة عدده وصموده بحبل شديد السواد فحذف المشبه وأبقى على قرينة دالة عليه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي افتخار بانتصارهم على عدوهم في يوم العبلاء ردد:

نُبني بالمَنازِلِ عِزُّ قَيْسٍ وَدُّوا لوتَسِيخُ بنا البلاد[3]

شبه عز قيس وهو شيء معنوي ببيت يبنى، فحذف المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه "نبني" والاستعارة مكنية.

ووصف شدة غضبه على عدوه ورغبته في الانتقام والأخذ بالثأر فقال:

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص80.

[2] –الديوان، ص65.

[3] –الديوان، ص63.

ثم أحْضَرُونَا إذا ما احْمَرَّ أعيُنُنَا في كل يَـوْمٍ يزيلُ الهامِ مَذْكُورُ[1]

جعل من اليوم شخصا له أيدي مع حذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه "يزيل" على سبيل الاستعارة المكنية.

وها هو يصور منظر فناء عدوه والقضـــاء عليه قـائلا:

عــدَدْتُمْ عَطْفَتَيْن ولـم تَعُدُّوا وَقَائِعَ قد تَرَكَـتكم حَصِيدا[2]

فشبه كثرة القتلى في عدوه بالحصيد من الزرع، فحذف المشبه وأبقى على قرينة دالة عليه "تعدوا" والاستعارة تصريحية.

نقل خداش صورا حقيقية حولها إلى صور ذهنية فنية تحمل طاقة دلالية وإيحائية جديدة، فاعتمد الاستعارة كأهم وسيلة لتجسيد انفعالاته وإحساسه بالحياة.

زادت استعارات خداش المعنى قوة ووضوحا، وعبرت في معظمها عن مبالغته في القوة والشجاعة، وكشف من ورائها عن سعيه في الارتقاء إلى الحياة الكاملة.

---

[1] خداش بن زهير، الديوان، ص75.

[2] الديوان ، ص45.

3- الكناية:

لغة:

جاء في "القاموس المحيط" "للفيروزآبادي": "كنى به عن كذا يكني ويكنو كناية: تكلم بما يستدل به عليه، أوأن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره، أوبلفظ يجاذبه جانبا حقيقة ومجاز".[1]

أي أن الكناية هي أن يصرح المتحدث بعبارة أوكلمة ما ويريد بها معنى آخر.

اصطلاحا:

الكناية هي " لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ "[2]، ويضيف "المرزباني" "أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، و(...) أن المجاز أبدا ابلغ من الحقيقة ".[3]

والكناية حسب استعمال اللغويين والنُحاة تأتي بمعنى الضمير أي هي كل ما فُهم من الكلام دون ذكره صراحة.[4]

وبحسب التعاريف السابقة فالكناية هي أن يُصَرَّح بلفظ ما ويُرَاد به معنى آخر، وهي من الصور البيانية التي يستخدمها الشعراء لإيصال المعنى المُراد بأسلوب بليغ وموجز،

---

[1] -الفيروزبادي، مصدر سابق، ص 1329.

[2]- الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ودفع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط 1، بيروت، لبنان، 2003، ص 241.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت محمود محمد شاكر د.ط، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.س، ص70.

[4]- ينظر، عبد العزيز عتيق، علم البيان، مرجع سابق، ص204.

"كقولك: رأيت أسدا، أي رأيت رجلا هو والأسد سواء (...)، وإذا قلت: بلغني أنك تقدم رجلا وتأخر أخرى، أي بلغني أنك تتردد في أمرك."[1]

وكما تطرق خداش للتشبيه والاستعارة في شعره، نجد أنه أجاد في استخدام الكناية أيضا، من أجل إبراز جملة من المعاني التي أراد من خلالها أن يترك رسالة لقارئ أشعاره، ومن أبرز هذه الصور نذكر قوله:

أَنَاَ الحَامِي الذَّمَار وَلَيْثُ غَابٍ أَشُبُ الحَرْبَ أشْعِلُهَا وَقُودَا[2]

فالشاعر استخدم الكناية في هذا البيت لإبراز قوته وشجاعته في الحرب من خلال قوله "ليث غاب"، وكذلك من أجل إبراز دوره الفعال حينما قال " أشب الحرب أشعلها وقودا"، أي أنه بمفرده كَافٍ لإيقاد نار الحرب، وهذه الكناية من الصور النمطية الدارجة لدى الشعراء الجاهليين " فقد كان الفخر من ألصق فنون الشعر بالحرب، فقد اعتمد العراء الدلالة التي توحي بها النار (...) لإبراز مظاهر البطولة والفروسية "[3] وفي موضوع آخر يسعى أيضا للفخر بنفسه وبرهطه وعشيرته فيقول:

إِنِّي مِنَ النَّفْرِ المُحْمِرِ أَعْيُنُهَم أَهْلُ السَّوَامِ وأَهْلُ الصَّخْرِ واللُّوبِ[4]

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 70.

[2]– خداش بن زهير، الديوان، ص 45.

[3]– كامل عبد ربه الجبوري، النار دلالاتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد السابع، كلية التربية، جامعة القادسية، د.ت، ص 29.

[4]– خداش بن زهير، الديوان، ص 59.

وفي الشطر الأول من البيت كناية عن الشدة عند احْتِدَام الصراع و شدة قوتهم، أما ما جاء في الشطر الثاني " أهل السوام وأهل الصخر واللوب " فهي كناية عن الخير والكرم والعطاء.

ونبقى دائما في إطار الفخر، فيقول:

لاقَتْهُم مِنْهُمْ آسَادُ مَلْحَمَةٍ لَيْسُو بِزِرَاعَةٍ عُوج العَرَاقِيبِ [1]

فكلمة "آساد ملحمة" هنا كناية عن قوة وشجاعة فرسان قبيلته، وهي أيضا صور من الصور النمطية التي ألف الشعراء توظيفها في أشعارهم لأن الأسد كان دائما رمز للقوة والبطش خاصة الآساد التي جاء ذكرها في الملاحم على أساس القوة الخرافية التي تنسب لها.

كما يشيد خداش بقوة أحد الفرسان ويصف طعنته للعدو فيقول:

وطَعْنت إِذَا مَا صُدورُ الكَمَاةِ بُلَّتْ مِن العَلقِ المَائِرِ[2]

ففي قوله " بلت من العلق المائر" كناية عن قوة الطعنة وغزارة الدم الذي خرج من صدر العدو.

وأما ما كان في مدحه للعدو:

هُمْ خَيْرُ المَعَاشِرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَورَاهَا إذا قُدِحَت زُنُودًا[3]

---

[1]– خداش بن زهير، الديوان، ص 60.

[2]– الديوان، ص 82.

[3]– الديوان، ص 44.

فخداش في هذا البيت يشيد بخصال عدوه، ويستخدم الكناية في قوله " إذا قدحت زنودا " لإبراز سخاء قريش واستجابتهم للخير والنجدة، ليضيف في موضع آخر الحديث عن قوتهم يقول:

وَكَانَتْ قُرَيش يفْلِقُ الصَّخْرُ حَدُهَا إِذَا أَوْهَنَ النَّاسَ الجُدُودُ العَوَاثِرَ[1]

ففي قوله " يفلق الصخر حدها " كناية عن الصلابة وقوة الجيش، وأما ماجاء في هجاءه لبني تيم الأردم يقول:

أَنْتُم مَجَاهِيلَ حَرَّامُونَ ثَاوِيكُمُ وَفِي الحُرُوبِ مَقَالِيعُ عَوَاوِيرَ[2]

ففي الشطر الأول كناية عن البخل وعدم إكرام الضيف، وفي الشطر الثاني من البيت كناية عن الخوف والجبن في الحرب، وفي نفس الغرض يضيف قائلا:

تَلْقَوا فَوَارِسَ لَا مِيلاً وَلَا عُزْلاً وَلَا هَلَابِيجَ رَوَّاثِينَ فِي الدُّورِ[3]

وهذه الأبيات كناية عن غباء وحماقة بني تيم الأردم، وهجاء لاذع لجيش العدو، فقد كان " الهجاء سلاح لا يقل أثره عن الأسلحة التي يستخدمها الجاهليون في حروبهم "[4].

واستنادا إلى ما تقدم نجد أن الشاعر قد صور مكنوناته بصور كنَّى فيها عن حالته، حيث اعتمد على غرض الفخر لإبراز بسالة فرسان قبيلته، وعرج على المدح لتجسيد مختلف

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 70.

[2] – الديوان، ص 70.

[3] – الديوان، ص 75.

[4] – حسني عبد الجليل يوسف، مرجع سابق، ص 101.

الصفات الحميدة التي تذكي قوتهم، والوصف الدقيق لتقريب مختلف الأحداث للمتلقي، كما اعتمد على غرض الهجاء كسلاح لمواجهة خصمه.

ثانيا- البناء الفني للقصيدة:

يعتبر بناء القصيدة العربية من مجموع المقومات الفنية التي يرتكز عليها الإبداع الشعري، ونسيج القصيدة الجاهلية يأتي وفق نسق معروف وشكل نمطي يتألف من عدة أجزاء، فالشاعر يبدأ "بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبب لذكر أهلها الضاعنين عنها(...) ثم وصل ذلك بالنسيب، لأن التشبيب قريب من النفوس لاقط بالقلوب(...) فإذا علم انه قد استوثق من الإصغاء إليه... عقب بالإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء(...) بدأ في المديح، ،،فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب " [1].

وهذا المنهج الذي خرج عليه الشعراء الجاهليون ماهو إلا انعكاس للأحوال النفسية والظروف الاجتماعية التي يحياها الشاعر في بيئته الجاهلية.

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، 1966، ص76.

ويمكن توضيحه في الترسيمة الآتيـــــة:

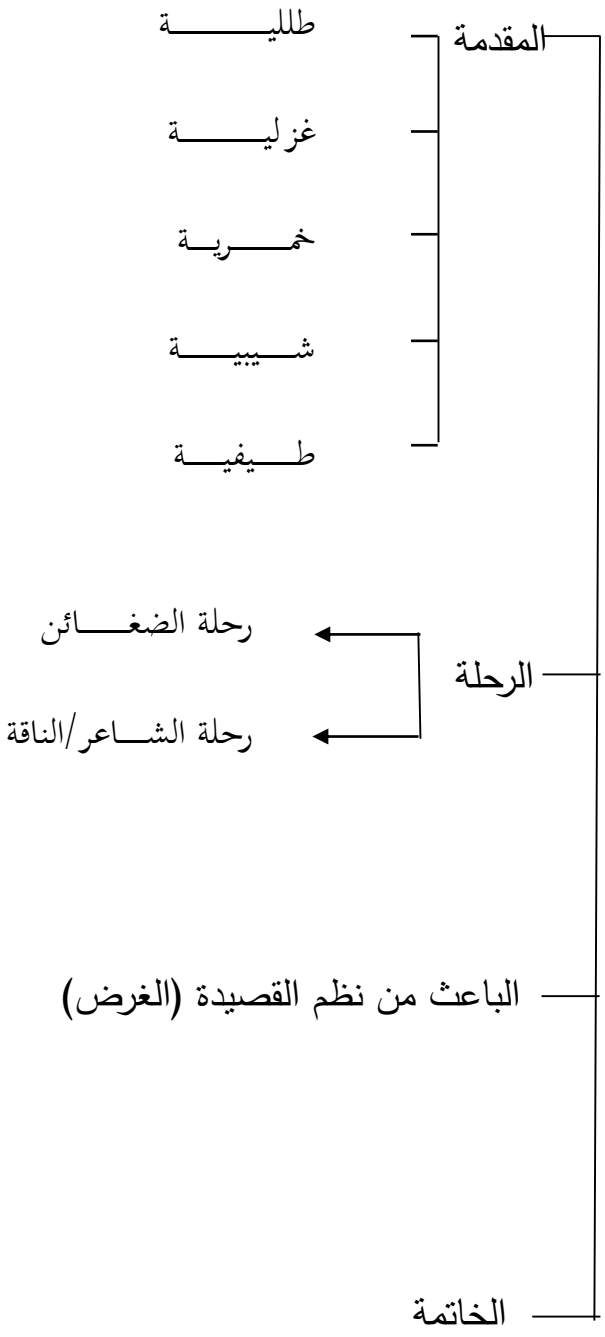

وبناء على ذلك ميزنا في البنية الفنية للقصيدة في شعر الحرب عند خداش مايلي:

1- القصائد ذوات المقدمات:

هناك من النقاد من يرى في المقدمات أنها لوحات فنية جاهزة تواضع عليها الشعراء، وتوارثوها جيلا عن جيل لكنها في حقيقة الأمر ما هي إلا بساطا يفرشه الشاعر لموضوعه ويبسطه لغرضه، وهنا يظهر إبداع الشاعر في تكييف هذا لذاك.

لقد أحصينا لخداش في شعر الحرب مقدمتين الاولى طللية والثانية غزلية، وهذا بالرغم من خلوشعر الأيام من المقدمات مما يؤكد أن اعتماده على هذين اللونين من الابتداء لم يكن لمجرد التقليد، ففي مقدمته الطللية التي قال فيها:

أمِن رسْم اطلال بتوضح كالسَّطْرِ فما شِـن من شــعرٍ فرابية الجَفْرِ

إلى النخل فالعَرْجَيْنِ حَوْلَ سويقَةٍ تأنَسُ في الادم الجوازِيء والعُفْرِ

قِفَــارٍ وقــد تــرعى بها أم رافعٍ مذانبهــا بين الأَسِلَّــةِ والــصَّخْرِ[1]

وجد خداش متنفسا للتعبير عن معاناته والتصريح بهمومه لحظة إبداعه الشعري للكشف عن أزمته النفسية التي يعاني منها ممهدا لما سيأتي.

فإذا كان طلل امرئ القيس تغير بسبب الظروف الطبيعية من شمس ورياح وأمطار فان طلل خداش الحرب هي المتهم الوحيد في خرابه ودماره.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص77.

نجد أن خداشا قد مهد بهذا الافتتاح ليصل إلى غرضه الأساسي وهو الافتخار بقوة فرسان قومه وشجاعتهم وإقدامهم في الحرب حتى تحقيق النصر، فاستحضر صورة أم رافع في طلله وهي ترعى مذانبها على ضفاف مسيلات الماء مسقطا عليها صفات الجمال قائلا:

قــفارٍ وقـد تــرعى بهــا ام رافــع مذانِبــها بيـن الأسِلَّــةِ والــصَّخْـرِ

خـــودٌ كالــوَذِيـــــــلة بـــادِنٌ أسِيلَةُ مايبدوومن الجيب والنحـر

كمُغــزِلةٍ تغْــدُوبِحَوْمَلِ شـــادِنًا ضئيـل البُغَـامِ غير طِفْـلٍ ولا جَأْرِ

طَــبَاها من الــنَّانَاتِ اوصـَـهَــوَاتِهَا مَدَافِــعُ جـوفًا فالنـواصِفِ فالحَتْرِ

إذا الشمس كانت رَتْوَة من حجابها تقتهــا بأطـراف الأراك وبالــسَّدْرِ [1]

لتكون معــادلا موضوعيا لكل تلك الأحداث والتي شكلت صراعا في نفسية الشاعر التي تتوق إلى السلام والطمأنينة والعيش في هدوء واستقرار وأما في المقدمة الغزلية التي قال فيها خــداش:

صَبا قلبي وكَلَّفَنِي كَنُـــودَا وعَــا وِدداءه منهـا التَّـلِيدَا

ولم يكن حبها عرضا ولكن تــعلَّــق داءه منــها وليـــدا

ليالــيَ إذ تَـرَيَّعُ بطـن ضِيَمٍ فأكنــاف الــوضيحَةِ فالـبُرُودَا

وإذ هي عذبَةُ الأنياب خود تعيش بريقها العطش المجودا[2]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 77-78.

[2] – الديوان، ص 39-40.

لاشك وأن الابتداء بالغزل من أجل الوصول إلى وصف المعركة شمظة أحد أيام حروب الفجار يظهر بان البون شاسع بينهما، ولكن إذا افترضنا أن هذه النوبة الشعورية انتابت الشاعر وهوفي طريقه إلى المعركة فتذكر الشاعر حب كنود التي كلف بها منذ أن كان وليدا، واستحضاره صورة الأماكن التي كان يلتقيها فيها، وكيف أن لقائهما كان حارا يملؤه الشوق والهيام، فهذه طاقة كافية لشحن الهمم واستنهاض العزائم والرفع من معنويات الفرسان من أجل الذود عن حريمهم، والاستماتة من اجل صون الشرف، وحماية نسائهم من الأسر تجنبا للعار، فكانت هذه المقدمة أرضا خصبة ترعرع فيها وصف خداش ليوم شمظة والذي انتزعوا فيه النصر انتزاعا رغم قوة عدوهم.

2- قصائد قصيرة مباشـرة:

من عادة الشعراء الجاهليين إطالة نفسهم الشعري فتأتي قصائدهم وفق قوالب جاهزة في شكل مطولات إلا أن خداشا لم يهتم كثيرا بهذا النوع من البناء ففي إحدى مطولاته التي مطلعها:

صَبَا قلبي وكلَّفَنِي كَنُودا وَعَـــاوَدَ داءه منهـــا التَّلِـيدَا[1]

وعـدد أبياتها سبع وأربعـــين بيتا.

و في مطلع قصيـــدة أخرى يقول:

[1] خداش بن زهير، الديوان، ص 39-40.

إذا مالثُّرَيَّا أشْرَقَتْ في قَتَامِهَا فُوَيْقَ رُؤوس الناس كالرُّفْقَةِ السَّفَرِ[1]

وعدد أبياتها اثنان وعشرين بيتا وهي دون مقدمة ابتدأها مباشرة بوصف الرحلة.

وأما القصيدة الثالثة ذات المطلع الطللي ويقول فيها:

أمِن رَسْمِ أطلال بتوضح كالسَّطر فمَـــا شِنَ من شَعْرٍ فرابيةَ الجَفْرِ[2]

وعدد أبياتها أربعة وعشرون بيتـــا وهي في غرض الفخر.

إلا أنه ولظروف ما يضطر الشارع إلى التقصير واقتحام الموضوع مباشرة إذ يعتبر ذلك شكلا من أشكال البناء الفني حيث يهجم الشاعر على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة[3] في لوحة واحدة مسقطا اللوحات الأخرى، أما خداش بن زهير فقد أحصينا له خمس قصائد من ثمانية في شعر الحرب، باعتبار أن " بعضهم يرى أن القصيدة ما بلغ سبع أبيات " [4]، فيكون الشاعر في هذه الحالة أسير لحظة انفعالية قوية، فيفتح نصه مباشرة دون مقدمات استجابة سريعة لما يختلج في نفسه من شعور آني قصير، فلم تسمح له هذه الحالة الشعورية بالتمهل كما هوالحال في القصائد المتعددة اللوحات.

فهاهو في اليوم الخامس من أيام الحريرة واقف يفتخر بقوة فرسان قبيلته، فذكر كل تفاصيل المعركة وإحداثها في قصيدة مباشرة لم تتجاوز الثمانية أبيات قال فيها:

---

(1) – خداش بن زهير، الديوان، ص 46.

(2) –الديوان، ص 77.

(3) – ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ص 154.

(4) – المصدر نفسه، ص125.

إني من النَّفَرِ المُحْمَرِ أعينُهُم أَهْلِ السَّوْمِ وأَهْلِ الصَّخْرِ واللُّوبِ

الطَّاعنين نُحُورَ الخَيْلِ مقبلـة بِكل سَـمْرَاء لم تُعْلَبْ ومَعْـلوب

وقـد بَلَوْتُمْ فأبلــوكم بَلَاءَهُم يوم الحـريرة ضربا غير مكذوب

إلى أن يقـــول:

وإن ورقاء قد أردى أبا كنف وابني إياس وعمرا وابن أيوب

وإن عثمان قد أردى ثـمانية منكم وأنتم على خبر وتجريب [1]

لقد كسر خداش كل القيود الفنية في هذا البناء البسيط ليعبر بكل عفوية وواقعية على ذلك السيل المتدفق من الأفكار والعواطف التي لا يمكن تأجيلها بالتقديم لها.

ولما انهزم قوم الشاعر أمام قريش رسم لوحة فنية أخرى حشد فيها أحداثا كثيرة نقلها إثر واقعة اليوم الرابع من حروب الفجار الثاني، والذي انهزمت فيه قيس، وقيس من قوم الشاعر من بداية التقاء العدوين إلى انهزام قوم الشاعر إذ يقول:

أتتنا قــريشٌ حــافلين بجمعهم عليهم من الرَّحمنِ واقٍ وناصرُ

فلمـــا دنـــونا للقبـــاب وأهلهـا أتيح لنا ريــب مع الليـل ناجِرُ

أتيحَتْ لنا بَكْـرٌ وحـول لِـوَائِـهَا كَتَائِبُ يخشـاها العَزِيزُ المكاثِرُ

جثت دونهم بكر فلم نستطعهم كــأنــهم بالمــشــرِفيَّــة سَـــامِرُ [2]

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 46.

[2] – الديوان، ص 69.

عالج خداش موضوعه دون سابق إنذار، نتيجة لذلك الضغط النفسي فأفرغ شحنته النفسية في قطعة فنية واحدة، نتيجة واقعه المعيش الذي تهدده الحروب من حين لآخر.

وفي قصيدة لم تتجاوز الاثنا عشر بيتا في ذم وهجاء عدوه بني تيم الأردم مادحا فرسان قومه إذ يقول:

أَبْلِغْ أبا كنَـفٍ إمَّا عَرَضْـتَ به والأبْحَرَيْنِ وَوَهْبًا وابن مَنْـظورِ

ألا طِـغانِ ولا فُـرْسَانِ عَـاديةً ألا تَجَشُّـؤكُمْ عنـد التَّـنَانِيرِ

ثُمَّ أحْضَرُونَا إذا ماحْمَرَّ أعْيُنُنَا فـي كل يوم يـزيل الهَامَ مَذْكورِ[1]

حملت هذه الأبيات طاقة فكرية هائلة مشحونة بالكره الشديد للعدووتحقيره، وفي المقابل افتخار كبير بفرسان قومه عكست صدق الشاعر في التعبير عن إحساسه دون أي تأن، فلم يتكلف القيود التي كانت معروفة لدى شعراء عصره.

ولما كانت الحرب هي الداعي لهذا البناء البسيط لم نعد ذلك تقصيرا من الشاعر، أوعيبا فيه.

وصور في يوم نخلة قتال قبيلته مع العدومن بدايته إلى نهايته يصف قتالهم الشديد، فقضوا على عدوهم بكل جدارة حتى تولى مدبرا يجتث أذيال الهزيمة في تسع أبيات دون بسط للموضوع قائلا:

ياشِـدَّة ماشـددنا غيـر كـاذبـةٍ على سخينـة لولا الليـلُ والحَـرَمُ

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، مصدر سابق، ص 75.

إذ يتقـينـَا هـشـامٌ بالـوليد ولـوأنَّا شقـَنَا هِشـامًا شـَالَتِ الخَـدَمُ

بين الآراك وبين المرج تبطَحُهُمْ زُرْقُ الأسِنـَّـةِ في أطـرافها السَّهْـمُ

فإن سَمِعْتُهُمْ بجيشٍ سالكٍ سَرَفًا أوبَطْنَ مَرٍّ فَأَخْفوا الجَرَسَ واكْتَتِمُوا

ثمَّ ارجِعُـوا فأَكِبُّـوا في بيـوتِكُم كمـا أَكَـبَّ على ذي بطنـه الهَـرِمُ[1]

فالفرحة بهذا الانتصار لا تحتمل التأجيل وتضييع الوقت في صوغ المقدمات فلا شك وان الشاعر وقف مباشرة بعد المعركة فأبدع تلك اللوحة ذات الموضوع الواحد ليثبت طبعه الشعري، وارتجاله وعفويته الفنية في تصوير هذه المواقف، فلا شيء يسعد قلب فارس مقدام كتفوقه على عدوه والقضاء عليه محققا النصر والعودة محملا بالغنائم.

3- المقطوعات والنتف والآحاد:

إذا كانت "النتفة هي القطعة الشعرية المؤلفة من بيتين فقط "[2] فإن المقطوعة الشعرية " هي الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينة "[3] عدد أبياتها من ثلاثة إلى ستة – نحن أخذنا بالرأي القائل أن ما بلغ سبع أبيات فهوقصيدة – وهذا ما سنتخذه قاعدة في العملية الإحصائية.

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص 93.

[2] – اميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، ط1، 1991، ص445.

[3] – يونس احمد السامرائي، أبحاث في الشعر العربي، سلسلة بيت الحكمة، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1919، ص36.

إن من مقومات شعر الفرسان شيوع المقطوعات والنتف في أشعارهم فهم " يحيون حياة قلقة مشغولة بالكفاح... والتي تكاد تفرغ للفن من حيث هوفن يفرغ صاحبه لتطويله وتجويده وإعادة النظر فيه "[1]، فليس للفارس وقت حتى يتفرغ للتهذيب والتقيد بالقواعد الفنية، فشعره ومضات ارتجالية، سريعة، خاطفة تتناسب وطبيعة ظروفه.

فأول ما يلفت الانتباه في شعر الحرب عند خداش ظاهرة المقطوعات والنتف والأبيات الأحادية، هذا بغض النظر عما إذا كانت هذه المقطوعات والنتف والآحاد هي بقايا لقصائد طويلة ضاع اغلبها، ولم تصل إلينا إلا هذه المقطوعات والنتف والآحاد.

والجدول أدناه يبين العملية الإحصائية لهذه المقطوعات والنتف والآحاد:

المقطوعـــــات	النتـــــف	الآحـــاد
07	11	22

ففي اعتماده للنتفه افتخر فيها بفرسان قبيلته في يوم العنب قال:

ألـــم يَبْلُغْكَ بالعَبْـــلاَء أنَّا ضربنا خِنْدِفًا حتى استقــادوا

نُبَنِّي بالــمنازِلِ عِـزَّ قيْسٍ وداو لوتسيــخ بــنا البـــلادْ [2]

---

[1] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت، دص.

[2] – خداش بن زهير، الديوان، ص62.

لا شك وأن الشاعر عمد إلى هذه النتفة لان شيوعها سيكون أسرع وحفظها سيكون أسهل وبالتالي سيذيع سيطها، ويكون لها صدى كبيرا في أن تحدث الرعب في قلوب أعدائه، فلا يتجرأ أحد على غزوه.

وفي نتفٍ أخرى افتخر بانتصارهم على قبيلته خندف في يوم العبلاء فـــردد:

ألـــم يَبْلُـــغْكَ أنَّا خَـدِعْـــنَا لـــــدى العَبْلاَءِ خِـنْدِف بالقَيَادِ

ضربناهُم ببطْنِ عكاظٍ حتى تولـــوا ظالعـــين من النـــــجاد:[1]

هذه النتفة بمثابة سلاح آخر يحمله الشاعر لها مفعول قوي في نفسية العدووبالتالي الذود عن حمى القبيلة فتصبح مرهوبة الجانب.

وفي افتخاره بفرسان قبيلته في نتفة في يوم العنب قال:

نَكُبُّ الكُمَـــاةَ لأذقَـــانِهَـــا إذا كان كان يوم طويل الذنب

كـــذلك الزمـــان وتصريفـــهِ وتـــلك فـــوارِسُ يـــوم الـــعنب[2]

فهذه النتفة كفيلة بأن يكون وقعها شديدا في نفس العدو، فتحدث من الرعب ما يحدثه أشجع الفرسان.

وفي بيت وحيد في إشادة خاطفة افتخر بفروسية أبيه وشجاعته في يوم هبالـــة:

أبِي فَارِسُ الضَّيْحَاءِ يوم هبالةٍ إذا الخيل في القتلى من القوم تَعَثَّرُ[3]

---

(1) – خداش بن زهير، الديوان، ص64.

(2) – الديوان، ص62.

(3) – الديوان، ص68.

فنقل مشهدا واحدا كان اهتمامه منصبــا عليه.

وفي وصفه لخيله أثناء المعركة كيف أنها كانت تعرق تارة وتجف أخرى، هذا ما جعلها قوية وصامدة في يتيمة قال:

وقد سَالَ المسيحُ على كُلَاهَا يخـــالف درة منهـــا غِـــرَارا[1]

وعير عدوه في أخرى بضعف سلاحه يوم الحرب قائلا:

سلاحكم يوم الهِــيَاجِ أصِرَّةٌ بأيديكـــمُ مَعْوِيَـــةٌ ومَـــثَانِي[2]

ووصف تحضيره لمعابله حيث إذا أصابت عدوه لم تنتزع في بيت وحيد قائلا:

أريش وأُبْرِي للظلوم معابِلاَ إذا خَرَجْتَ من بَدْئِها لم تُنَزَّعِ[3]

وفي مقطوعة من ثلاث أبيات يصف طعنة مختلسة طعن بها عدوه قائلا:

وطَعْنَةِ خِلْـــسٍ كَفَـرْعِ الإِزَا ءِ أفرع في مِثْعَـــبِ الحَائِرِ

طَعَنْتُ إذا ما صُدورِ الكما ة بُلَّـــتْ من العِلْـقِ المَـائِرِ

تُهـــال العوائِدُ من فَـرْغِها تَرُدُّ السَّبَـــار على السَـــابِرِ[4]

فاهتمامه كان منصبا على ذلك المشهد دون غيره فوضعه بكل مختصر مفيد في فكرة واحدة عكست شغفه بذلك الحدث.

---

(1) – خداش بن زهير، الديوان، ص74.

(2) – الديوان، ص100.

(3) – الديوان، ص85.

(4) – الديوان، ص82.

وبكل ارتجال وعفوية وفي بيت وحيد رسم صورة رجال واهب بن خثعم كيف هزموا مكروهين فتركوهم منقطعي النعال في قوله:

ورجلة واهب أُكْرِهَتْ حتَّى تَرَكَتْ عشيَّةً جَذْمَى النِّعَالِ[1]

وفي نتفة أخرى رسم لوحة لانتقام أبطال قومه من عدوهم وشدة غضبهم وقلقهم حتى الأخذ بالثأر في إحدى المعارك.

ويوم تخرج الأضراس فيه الأبطـــال الكمـــاة بـه أوام

شهـدتم عنه ففرجتمـــوه بضرب ما يصيح عليه هام [2]

فصور أضراسه تحتك ببعضها من الحرد تنتابهم رغبة شديدة في إطفاء غليل الانتقام، فكانت نتيجة هذا الغم إسكات الهام الذي يطلب الثأر، فاخرج ضغطه في تنهيدة واحدة قوية كفيلة بأن تطفئ غضبه.

وافتخر متباهـــيا بقوته وشدته في بيت وحيد فقال:

وقتَّلتُ الرجال بذي طَوَاءٍ وهَدَّمْتُ القواعد والعُرُوشَا[3]

فصور نفسه بطلا خارقا قضى على كل من اعترض طريقه، فطبيعة الحياة التي يحياها الشاعر في وسط نيران الحروب التي لا تضع أوزارها من وقيعة إلى وقيعة فرضت على الشاعر هذا التقصير، فالشاعر ليس لديه متسع من الوقت فحياته مهددة في كل لحظة،

---

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص92.

[2] – الديوان، ص97.

[3] – الديوان، ص84.

لذا جاءت هذه النتف والآحاد لتكون أكثر احتواء لتجاربه، وابغ تعبير عن واقعه واضمن تخليدا لأحداثه.

وفي مقطوعة من أربع أبيات وصف جأر أوس فكان لهم بالمرصاد حتى وان كانت أوس حية مستميتـــــة فقال:

عدَوْتُمْ على مولاي تهتضِمُونه بناحيةٍ من جانب العَيِّ تَرْتَعِـي

مَوَالِي بنـــي عَمْرُووأهـلِ أمـَـانَةٍ وقُرْبَى فلم ينفعهمُ قَيْدَ أصبعِ

فَعَرَّضْتُم أحـــلامَكُم ودِمَـــائَكُمْ بـــواءٌ لأذاودٍ يعـيـــهم أربَـــعِ

فان يَكُ اوسٌ حيـــة مستميتـــةٌ فدعيني وأوسا إن رقيته مَعِي[1]

استغرق هذا الهجاء مدة مواجهة الشاعر لعدوه، فجاءت هذه النتفة استجابة لواقع الشاعر، ولم تتجاوز حدود دمانه.

إن اعتماد خداش على القصائد المباشرة القصيرة والمقطوعات والنتف وحتى الآحاد ليس رفض للقوالب التقليدية الجاهزة –بدليل عثورنا على مطولات له في الشعر الحرب– إنما هم انعكاس للأحوال النفسية والظروف الاجتماعية التي يحياها الشاعر في ظل الحياة الحربية المضطربة.

[1] – خداش بن زهير، الديوان، ص85.

خَاتِمـــــَة

. من خلال هذا البحث الذي جعلنا نرتحل إلى أولى العصور الأدبية " العصر الجاهلي " متخذين من أبرز فنونه وأقوى مظاهره الاجتماعية ركيزة أساسية لموضوع دراستنا، فعملنا على إبراز صور الحرب وتجلياتها في شعر خداش وكشفنا على أهم المقومات الفنية لديه فسجلنا النتائج الآتية:

. الحياة الجاهلية كانت حياة حربية تقوم على النزاع والصراع الدائمين.

. خداش بن زهير العامري شاعر جاهلي ضاع معظم شعره، وأن ذكره لم يلمع إلا في حروب الفجار التي كان لها الفضل في جعلنا نتعرف عليه

. كان للحرب سيطرة ونفوذ كبيرين على ديوان خداش الذي اهتم بأيام الفجار حيث وظف طاقته الإبداعية من أجل الحديث عن هذه الحروب على طول أيامها.

. جاء نظم خداش متنوع الأغراض إلا أن السيطرة والغلبة كانت لكل من الفخر والمدح والهجاء على غرار الأغراض الأخرى من أجل الدفاع والذود عن قبيلته.

. لقد أبدع خداش في رسم صور جميلة للإنسان الجاهلي حيث اعتمد على الفخر والمدح لتجسيد قوة الأنا وشجاعتها، وترك الهجاء للآخر لذمه والإحباط من عزيمته وهدفه من ذلك هو تراجع العدو وتخاذله رغم ظهور مقتطفات من مدح قوته والإشادة بصنيعه، كما كان للمرأة حظور في أشعار خداش حيث بث من خلالها حبه وشوقه لحبيبته كما حدد مكانتها في المجتمع.

. ولما كان للحيوان دور كبير ومهم في حياة الإنسان الجاهلي فلقد لمع ذكره في شعر خداش كالناقة والفرس والأسد في الحروب بشكل مفصل وعمل على إبراز دورها في الحروب وفي حسم النتيجة.

. غطت صورة الزمن في شعر الحرب عند خداش مجالا واسعا تجلى في الطلل، الليل، اليوم، الأشهر الحرم، وكشفت عن فلسفته للزمن والتي ترددت بحسب طبيعة علاقته بالآخر بين النصر والهزيمة أحيانا وأحينا أخرى بحسب دوره كشاعر يناضل من أجل إرساء دعائم السلام.

. غطى الحرم المكي الجزء الأكبر من مساحة المكان عند خداش لأنه كان مسرح أحداث الفجار حولها خداش من أماكن واقعية إلى أماكن خيالية من أجل إرضاء طموحه والتعبير عن أحواله النفسية.

. جاءت صور خداش مستوحاة من الطبيعة الحية والجامدة للبيئة الصحراوية، وكانت متراوحة بين الكثافة والاقتضاب وذلك بحسب نوع الصورة وانفعالات الشاعر.

. استطاع خداش أن يجسد ذاته في شعر الحرب فأظهر قدراته الإبداعية وساهم واقعه اليومي في بيئته الطبيعية في تشكيل عناصر تجربته الشعرية فنقلها من انفعالات متدفقة إلى أداء فني.

. حيث اعتمد على الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية إلى جانب تركيب القصيدة كأهم عناصر فنية قومت شعره ونقلت تجاربه الحربية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم (رواية حفص)

. آل عمران، النحل، النساء، المؤمنون.

ثانيا: المصادر:

. امرؤ القيس، الديوان، ضبطه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 5، بيروت، لبنان، 2004.

. حاتم الطائي، الديوان، تح محمد عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، د، ط، د،ب، د،س.

. خداش بن زهير العامري، الديوان، صنعه يحي الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، د،ط، دمشق، 1986.

. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2003.

. ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، ط1، ج1، مصر 1985.

. ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، د،ط، بيروت، لبنان، 2001.

. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات(قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة، والمنطق والتصوف والنحو، والصرف والعروض والبلاغة، تح محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط. القاهرة، مصر، 816هـ.

. زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2002.

. الأصمعي، فحولة الشعراء، تح، ش، توري، دار الكتاب الجديد، ط 2، بيروت، لبنان، 1980.

. طرفة بن العبد، الديوان، تح، عبد الرحمن المصطواي، دار المعرفة، ط 1، بيروت، لبنان، 2003.

. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1، لبنان، 2003.

. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمود شاكر، دار المدني، ط1، السعودية، 1991.

. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، د، س.

. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمد أحمد شاكر، د، ط، مكتبة الجانجي، القاهرة، د،س.

. عمر بن كلثوم، الديوان، تح، إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1991.

. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح، أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ج 1، ط 1، القاهرة، مصر، د، س.

. قيس بن الخطيم، الديوان، تح، ناصر الدين الأسد، دار صادر، د،ط، د،س.

. النابغة الذبياني، الديوان، تح، محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، مصر، 1980.

. أبي هلال العسكري، الصناعتين، تح، محمد علي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، إحياء الكتب العربية، ط 1، د، ب، 1952.

ثالثا: المراجع:

. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط 10، بيروت، لبنان، 1969.

. أحمد درويش، في نقد الشعر (الكلمة والمجهر)، دار الشروق، ط 1، د،ب، 1996.

. إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

. إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، لبنان، د، س.

. ايميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، ط1، 1991.

. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، د، س.

. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 3، د.ب، 1992.

. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي (قضايا، فنون، نصوص)، مؤسسة المختار، ط 1، القاهرة، 2001.

. حسني عبد الجليل يوسف، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الثقافية، ط 1، القاهرة، مصر، 1998.

. حنا نصر الحتي، الناقة في الشعر الجاهلي، دار الثقافية، ط 1، القاهرة، مصر، 1998.

. دزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1995.

. ريم هلال، حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

. سعد اسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، ط 2، القاهرة، مصر، 1982.

. شوقي ضيف، تاريخ الأدب (العصر الجاهلي)، دار المعارف، ط 11، القاهرة، مصر، د، س.

. عبد الرحمن عفيف، معجم الشعراء، دار المناهل للطباعة والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 1996.

. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، د،ط، بيروت، لبنان، 1985،

. عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشعري (دراسة لقصيدة أشجان يمنية) دار الحداثة، ط 1، بيروت، لبنان، 1986.

. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج 2، بيروت، لبنان، د، س.

. علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط 2، د،ب، 1981.

. علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط 2، القاهرة، 1963.

. محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، مصر، 1942.

. محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي أبوالوليد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح، عبد المالك عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، ط 1، السعودية، 2004.

. محمد النويهي، الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه)، الدار القومية، د.ط، ج 1، د،ب، د،س.

. نوري القيسي حمودي، شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، مكتبة النهضة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1986.

. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 4، القاهرة، د، س.

رابعا: المعاجم:

. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1، بيروت، لبنان، 2003.

. شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط 4، مصر، 2004.

. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، د،ب، 2005.

خامسا: المجلات والرسائل الجامعية:

أ- المجلات:

. أحمد فرحات، مقاربات شعرية ومحاورة النصوص، صورة العدوفي الجاهلية والإسلام، كلية الفرابي، جدة.

. سعد عبود السمار، عادات الحرب عند العرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية، العدد 3، جامعة واسط، 1 نيسان 2013.

. يونس أحمد السامرائي، أبحاث في الشعر العربي، سلسلة بيت الحكمة، مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل، 1919.

ب-الرسائل الجامعية:

. كامل عبد ربه الجبوري، النار دلالتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 7، كلية التربية، جامعة القادسية، د، س.

. إبراهيم علي فرج، مقدمة القصيدة في شعر ابن المعتز، أطروحة دكتوراه، جامعة المنصور، كلية الآداب والدراسات العليا، 2012.

. علي رباح، البحث عن الذات في الشعر الجاهلي، أطروحة دكتوراه، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012.

فهرس الموضوعات

مُقدِّمـــة..... أ

مدخَل: ضبط المفاهيم الأساسية..... 4

أولا: مفهوم الحرب..... 5

ثانيا: مكانة الحرب في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي..... 7

ثالثا: التعريف بالشاعر 13

رابعا: ماهية المقومات الفنية..... 20

الفصل الأول: صور الحرب في شعر خداش بن زهير العامري 23

أولاً- صورة الإنسان والحرب..... 26

ثانياً- صورة الحيوان والحرب 38

ثالثاً- صورة الزمان و الحرب..... 46

رابعاً- صورة المكـــان والحرب..... 71

الفصل الثاني: المقومات الفنية في شعر الحرب عند خداش بن زهير..... 83

أولا: التشكيل البلاغي 85

ثانيا- البناء الفني للقصيدة..... 98

خَاتِمَة 112

قائمة المصادر والمراجع..... 115

فهرس الموضوعات..... 123

ملخص البحث:

.لقد تمحورت هذه الدراسة حول شعر الحرب في العصر الجاهلي بشكل عام واقتصرت على جمالية هذا الفن عند خداش بن زهير العامري، وذلك من خلال تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين فجاء المدخل لدراسة بعض العناصر النظرية التي تساعد القارئ على التعرف على محتوى الرسالة، أما الفصل الأول فكان من أجل إبراز نظرة خداش للحرب وكيف صورها حيث نجد أن تصويره لها كان مستوحى من عناصر الطبيعة الحية والجامدة حيث أشار إلى صورة المقاتلين في التجهز للحرب وفي ساحة المعركة كما رسم أيضا صورا للمرأة والحيوان والزمان والمكان، ومن خلال دراستنا للصور السابقة نلمس الصدق والواقعية في وصفه للأشياء، أما في الفصل الثاني حاولنا التركيز على الجانب الفني من بلاغة وبناء، حيث عملنا على كشف اللثام عن الصور البيانية البارزة التي وظفها خداش من تشبيه واستعارة وكناية والإشارة إلى دلالة وأثر كل واحدة منها على حدا و في الأخير تطرقنا إلى البناء الفني في شعر خداش الذي نوع في ديوانه بين القصائد الطوال والقصيرة رغم قلتها والمقطوعات الشعرية والنتف التي جاءت بكثرة وذلك يعود إلى طبيعة المواضيع التي تطرق إليها، والأمر الذي لا شك فيه هو أن خداش صور لنا جانب مهم من جوانب الحياة الجاهلية حيث جعلنا نتعرف من خلالها على طبيعة الإنسان الجاهلي وعلى أيام الفجار الذي اختص شعره بها.

RESUME :

Cette étude est généralement axée sur la poésie de guerre durant la période antéislamique، L'esthétique de cet art s'est limitée à KHIDASH BNOZOHIR ELAAMIRI en subdivisant cette recherche en **une Entrée** et **deux ChapitresPratiques**.

L'entrée étudie quelquesléments théoriques qui mettent le lecteur dans l'atmosphère générale du message، Le premier chapitre met en valeur l'idée de la guerre et son image chez KHIDASHE qui sont évoquées des éléments vivants et solides de la nature.

Dans notre étude، nous nous sommes basés sur l'image des soldats en préparant au combat، l'image de la femme، … Des images qui ne peuvent pas être séparées de leur air spatiotemporel،

A travers cette étude ; nous avons constaté l'honnêteté et le réalisme dans la description de la nature.

Dans le deuxième chapitre ; nous avons mis l'accent sur le côté artisQtique: rhétorique ; modalité en dévoilant les figures de style

comme la comparaison ; la métaphore ; l'analogie… Et l'effet de ces figures sur la clarification du sens.

Finalement ; nous avons évoqué la structure artistique des poèmes de KHIDASH، elle est diversifiée entre les longs poèmes qui sont rares ; et les courts poèmes ; les couplets… qui constituent la quasi-totalité de sonouvrage en raison des thèmes abordés، Bref ; KHIDASH nous a dépeint une part de la vie antéislamique ; la nature de l'homme durant cette période et les **JOURS DE FOUDJAR** qui caractérise sa poésie.

ملخص البحث:

.لقد تمحورت هذه الدراسة حول شعر الحرب في العصر الجاهلي بشكل عام واقتصرت على جمالية هذا الفن عند خداش بن زهير العامري، وذلك من خلال تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين فجاء المدخل لدراسة بعض العناصر النظرية التي تساعد القارئ على التعرف على محتوى الرسالة، أما الفصل الأول فكان من أجل إبراز نظرة خداش للحرب وكيف صورها حيث نجد أن تصويره لها كان مستوحى من عناصر الطبيعة الحية والجامدة حيث أشار إلى صورة المقاتلين في التجهز للحرب وفي ساحة المعركة كما رسم أيضا صورا للمرأة والحيوان والزمان والمكان، ومن خلال دراستنا للصور السابقة نلمس الصدق والواقعية في وصفه للأشياء، أما في الفصل الثاني حاولنا التركيز على الجانب الفني من بلاغة وبناء، حيث عملنا على كشف اللثام عن الصور البيانية البارزة التي وظفها خداش من تشبيه واستعارة وكناية والإشارة إلى دلالة وأثر كل واحدة منها على حدا و في الأخير تطرقنا إلى البناء الفني في شعر خداش الذي نوع في ديوانه بين القصائد الطوال والقصيرة رغم قلتها والمقطوعات الشعرية والنتف التي جاءت بكثرة وذلك يعود إلى طبيعة المواضيع التي تطرق إليها، والأمر الذي لا شك فيه هو أن خداش صور لنا جانب مهم من جوانب الحياة الجاهلية حيث جعلنا نتعرف من خلالها على طبيعة الإنسان الجاهلي وعلى أيام الفجار الذي اختص شعره بها.

RESUME :

Cette étude est généralement axée sur la poésie de guerre durant la période antéislamique، L'esthétique de cet art s'est limitée à KHIDASH BNOZOHIR ELAAMIRI en subdivisant cette recherche en **une Entrée** et **deux ChapitresPratiques**.

L'entrée étudie quelquesléléments théoriques qui mettent le lecteur dans l'atmosphère générale du message، Le premier chapitre met en valeur l'idée de la guerre et son image chez KHIDASHE qui sont évoquées des éléments vivants et solides de la nature.

Dans notre étude، nous nous sommes basés sur l'image des soldats en préparant au combat، l'image de la femme، … Des images qui ne peuvent pas être séparées de leur air spatiotemporel،

A travers cette étude ; nous avons constaté l'honnêteté et le réalisme dans la description de la nature.

Dans le deuxième chapitre ; nous avons mis l'accent sur le côté artisQtique: rhétorique ; modalité en dévoilant les figures de style comme la comparaison ; la métaphore ; l'analogie… Et l'effet de ces figures sur la clarification du sens.

Finalement ; nous avons évoqué la structure artistique des poèmes de KHIDASH، elle est diversifiée entre les longs poèmes qui sont rares ; et les courts poèmes ; les couplets… qui constituent la quasi-totalité de sonouvrage en raison des thèmes abordés، Bref ; KHIDASH nous a dépeint une part de la vie antéislamique ; la nature de l'homme durant cette période et les **JOURS DE FOUDJAR** qui caractérise sa poésie.